رسائل إلى الشباب المسلم

(٢)

المَثَلُ الأَعلَى

لِلشَّبابِ المُسلِم

أنور الجندي

رسائل الى الشباب المسلم

(٢)



أنور الجندي

الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة
الإدارة : ٧ ش السراى - أول المنيل ت . فاكس : ٩٨٧٩٢٤
الفرع : حدائق حلوان - بجوار عمارات المهندسين ت ٣٧٤٠٠٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ﴾ .

[قرآن كريم]
[سورة يوسف]

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

[حديث شريف]

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن هو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

[أمير الشعراء]

[أحمد شوقى]

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخـــل إلى البحـــث

الخطوط الأساسية :

كان « عبد الله بن عباس » ردف رسول الله ﷺ على ناقته ذات يوم ، وكان شابا حدثا تبدو عليه ملامح النجابة والذكاء ، فأراد النبى أن يفتح له طريق التفوق ، فرسم له فى كلمات محددة الخطوط الأساسية التى تكون المثل الأعلى للشباب المسلم .

قال عليه الصلاة والسلام : « يا بنى أعلمك كلمات :

احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، ولو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك . ولو اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

وهكذا فتح الرسول أمام الشباب طريق المثل الأعلى القائم على التحرر الكامل من المطامع والتماس جاه ذوى الجاه ، والتذلل أمام أصحاب النفوذ ، موحيا عليه السلام بأن الكفاءة وحدها هى مصدر التبريز على أن يرتبط العمل بالاعتماد على الله ، فإذا جاء الخير فهو من الله أصلا ، وإذا تأخر ، أو جاء ما سواه فمن الله أيضا .

والنفس الإنسانية إذا تحررت من التماس المطامع ، اعتمدت أساساً على الإنتاج والتجويد والعمل ، ومن هنا كان الإيمان بالله أس الأساس فى بناء شخصية الشباب ، وهو الطريق إلى التماس المثل الأعلى فى تصرفات وأعمال النموذج التطبيقى : محمد ﷺ ، فهو القدوة الأولى الحقة ، لكل مسلم وعربى وإنسان بما انطبعت عليه شخصيته من خلق ورفعة وعمل يلتمس به وجه الله وتعفف عن الدنايا وإعلاء للمروءة والسماحة والفضل .

ومن حق كل شاب أن يكون نموذجا من نماذج الإيمان والكرامة والاستعلاء على الصغائر ، وحماية النفس من الانحراف ، ولا يدع للحرام سبيلا إلى نفسه ، حافظا لعقله وقلبه وجسمه حتى لا ينهار كيانه أمام الترف والإثم ، مقدرا أن كل ما حرمته الأديان ، إنما أريد به الاحتفاظ للفرد بقواه كاملة حتى يكون إنسانا قويا قادرا على العمل النافع ، بعيدا عن الانحلال والضعف ، وشباب الأمة هو ذخيرتها المدخرة ، وقوتها المحفوظة لبناء صرح الأمة والوطن ، ودفعه إلى مصاف الأمم العظمى ، قوة فى الحرب وقوة فى السلم .

ومن حق الشباب أن يكون مشاركا فى بناء المجتمع ، مقدما حق المجتمع على حقه الخاص ، ليس إمعة ، يشترك عقله وقلبه فى الاستهداء إلى الحق ، ولا يترك لعاطفته وحدها الرأى كله ، ولا يطلق لعاطفته العنان ، وليعلم أن ضوابط الخلق والدين هى علامة قوة وإيجابية وبناء وتقدمية ، وإن كسر هذه الضوابط والاستهانة بها ليس إلا من علامات الضعف والانهيار .

ومن حق الشباب أن يعلم أنه ولد فى عصر من عصور التحدى للأوطان العربية فى مواجهة أخطار الاستعمار والصهيونية ، ودعوات الإلحاد والإباحية والمادية وصراع القوى الكبرى ، وإن أخطر ما يتمثل ذلك إنما يتمثل فى الاحتلال الصهيونى لفلسطين وما تبعه من محاولات للتوسع ، بالإضافة إلى الغزو الثقافى ، وحملات التغريب حين يحاول الغرب فرض ثقافته على الفكر العربى الإسلامى الذى يتسم بطابعه وقيمه ومقوماته التى تختلف عن الفكر الغربى ، ولقد كان فكرنا العربى دائما قادراً على أمرين أساسيين :

الأول : أن له قاعدة أساسية لا يفارقها ولا يخرج عنها ، ويلتقى بالنظرات والفلسفات والمذاهب المختلفة فى ضوئها ، فيأخذ منها ويرفض .

الثانى : أنه فى ظل هذه القاعدة قادر على الانفتاح على الثقافات العالمية والإنسانية يلتقى بها ولا ينفصل عنها .

وإن أول العوامل التى يحفظ للثقافة العربية طابعها الخالص الذى لا يندمج ولا ينصهر هو أنها إنما تقوم على « التوحيد » : توحيد الله سبحانه

وتعالى ونبوة الرسول محمد ﷺ والإيمان بالقرآن : كتاب الله المنزل الخالد ، والإيمان بالإسلام كبناء ونظام مجتمع وحضارة .

ومن حق كل شاب أن يعرف أن هذه المرحلة من حياة الأمة العربية والعالم الإسلامى هى مرحلة خطر وتحد عاصف يواجه هذه الأمة فى محاولة - للاستعمار والصهيونية والإلحاد - إعادة السيطرة على هذه الأمة بعد أن تحررت وانطلقت تبنى وتصنع وجودها ومستقبلها .

وإن هذا الشباب مسئول عن تعمق هذه القضية بحسبان أنه هو الذى سيحمل لواء المسئولية فى قيادة بلاده فى المراحل القادمة من حياة الأمة ، مما يدعوه إلى أن يعد نفسه بالثقافة والإيمان بالله على تحمل مسئولية ما سيوكل إليه من عمل .

ومن هنا فإن عليه أن يجمع بين ثقافة العقل وبين ثقافة القلب ، وأن لا يكتفى بثقافة القلب وحدها ، فإن للإنسان جناحين لا يعيش إلا بهما معا ، هما العقل والقلب ، وإن الفكر الإسلامى العربى يتسم بالقدرة على قيام ثقافة يمتزج فيها : العلم والدين ، والمادة والروح ، والدنيا والآخرة ، والعقل والقلب .

وإن الفكر الإسلامى وحده من بين تيارات الفكر البشرى هو الذى يتسم بالقدرة على هذا التكامل والوسطية حيث يتسم الفكر الشرقى بالروحية الخالصة والفكر الغربى بالمادية الخالصة .

بينما يجمع الفكر العربى الإسلامى بينهما فى اتساق وامتزاج وتكامل يلتقى مع طابع الإنسان نفسه ويحول بينه وبين التمزق النفسى .

فمن حق كل شاب أن يجمع إلى علوم العقل ثقافة القلب ، حتى يعطى العلم العقلى سماحة الطابع الإنسانى . والإسلام يعطى الثقافة العربية هذا الطابع الجامع : فهو يدعو إلى الأخوة الإنسانية بين البشر أجمعين ، ويسوى فى الكرامة البشرية والحقوق الإنسانية بين جميع الأجناس والألوان ، ويفرض العدل فرضا عاما بين جميع الناس بلا أدنى تمييز ، ويحرم الظلم بجميع وجوهه ، ويكرم العقل ، ويدعو إلى بناء الحضارة كلها على التفكير ، ويشرك الفقراء فى أموال الأغنياء ،

ويدعو إلى رحمة الضعيف ، ويشرك الفقراء فى أموال الأغنياء ، ويدعو إلى رحمة الضعيف ، فيكفى العاجز ويعلم الجاهل ، ويرشد الضال ، ويعين المضطر ، ويغيث الملهوف ، وينصر المظلوم ، ويأخذ على يد الظالم ويحرم الاستعباد .

من هذا المعين يجد الشباب زادا لبناء منهج ورسالة ، ومثلا أعلى يدور حول محبة وطنه وخدمة أمته . ووضع حجر فى البناء الكبير الذى بنته الأجيال ، فيكون قوة عاملة ناهضة ، إيمانا بربه وثقة بأمته ، وارتباطات بمقومات فكره الإيجابى الدافع إلى الحرية والعدل والحق .

مهمة ورسالة :

يسأل الشباب نفسه : لماذا جاء إلى هذه الدنيا وما هى رسالته ؟ هل من المعقول أن حياتنا وخلقنا ونشأتنا وموتنا جاءت اعتباطا ومصادفة ، دون هدف معين ، أو غرض محدود ؟

ويجيب القرآن صادقا : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون**﴾[1] فإذا علمنا أن لوجودنا هدفا محددا، سألنا عن هذا الهدف وعملنا فى سبيله ، هذا الإنسان الذى خلقه الله تعالى فى أكرم صورة وأعطاه كل هذه الدنيا بما فيها من ثروة ونعماء . إن له مهمة ورسالة ، هى أن يبنى « لبنة » واحدة فى بناء الإنسانية الحق ، هذا البناء الذى قوامه الحق والخير والعدل ، على كل منا أن يعمل لمجتمعه ولنفسه ، لدنياه وآخرته ، ليكون إنسانا ممتازا فى مجال العلاقة بينه وبين الله وبينه وبين الناس ، ليعطى الإنسانية من عقله وماله وذكائه وقدراته ، عالما ، أو صانعا ، أو زارعا .

« ومعرفة الله هى عصا التحويل التى تنقل الفرد والجماعة من حال إلى حال وحسن الاعتماد عليه وحده هى أظهر علامات الإيمان الصادق » فلا نخاف غيره ولا نرهب سواه، وعلينا أن نأخذ بالأسباب، ولا نتوسل إلى الأغراض الشريفة بالوسائل الخسيسة .

وعلامات الإيمان : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتضحية نبذلها لكل الناس : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾[2] .

(١) سورة المؤمنون

(٢) سورة آل عمران

والفرد للجماعة والجماعة للفرد والكل للإسلام .

فعلى الشاب المسلم معرفة الله وصلاح النفس ومحبة الخلق .

والمعرفة تكون بالتذكر والمراقبة ، وصلاح النفس بالطاعة والمجاهدة ، ومحبة الخلق بالتضحية والإيثار ، والسبيل إلى الله يبدأ من الصلاة .

الصلوات الخمس فى اليوم والليلة ، مفتاح الفهم للدين والدنيا ، فالصلاة والقرآن ومراقبة الله منجيات فى الدنيا ، مسعدات فى الآخرة .

والخمر والميسر والشهوة الجامحة مهلكات فى الدنيا مشقيات فى الآخرة .
يقول الصادق المصدوق ﷺ :

« اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة :

أصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا عاهدتم ، وأدوا إذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم » .

وليعلم شبابنا كلما قرأ ، أو درس أن لنا – نحن المسلمين والعرب والشرقيين والمصريين – ثقافة وفكرا وتراثا حيا متفاعلا مع مجتمعاتنا له طوابعه وقيمه ومفاهيمه .

فمنطقتنا هذه كانت متنزل الأنبياء والرسل ، وقد تكونت عقلياتها وضمائرها وحياتها منذ آلاف السنين ، والدين جزء من كيانها لا ينفصل عنها ، وجاء الإسلام فأعطى الإنسانية كلها : شحنة ثقافية « عقلية وروحية » للنفس الإنسانية ، وقدم للمجتمع الإنسانى أصدق الأهداف والمناهج والنظم وأساليب الحياة ، وستظل الإنسانية دوماً فى حاجة إلى هذه القيم التى حواها « القرآن الكريم » : ذلك النص الموثق الذى لم يصبه اضطراب ولا تحريف ، والذى بقى على مدى القرون منارا هاديا لكل طالب علم : علم الدنيا وعلم الدين معا ، جماع الروح والمادة ، والعقل والقلب ، والدين والعلم ، والدنيا والآخرة . ومن هنا كان لأمتنا طابع واضح فى الحياة والثقافة ، ومزاج صريح مختلف عن الأمزجة والعقليات له طابعه المؤمن بالله الجامع بين الدين والمجتمع ، وبين العدل والحق ،

فعلينا أن نذكر دائما أن لنا مفاهيم وقيما لكل معضلات البشرية ، وأزمات الإنسانية ، ومشكلات الأمم ، وأن أكبر قضايا الناس والمجتمعات التى لا تزال موضع الصراع قد وجدت فى فكرنا وتراثنا حلولها الطبيعية العملية الإيجابية : مسألة العدل الاجتماعى ، ومسألة المساواة والإخاء ، ومسألة الحرية والديمقراطية .

ليست ثقافتنا دينية محضة وليس تراثنا الإسلامى له طابع اللاهوت فحسب ، وإنما ثقافتنا العربية وفكرنا الإسلامى جامع شامل متكامل ، هو جماع الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية والدين والأخلاق والفن والعلم ، فالفكر الإسلامى (مركب) وهذه كلها (عناصر) لا تنفك عنه وهو (كل) وكل منها (جزء) وهو فى هذا يختلف عن الفكر الغربى الذى يؤمن بالانفصال بين العلوم والقيم .

وخلاف آخر بين الفكر الإسلامى وبين الفكر الغربى ذلك هو : أن الإسلام ليس دينا فحسب ، ولكنه دين وثقافة ومنهج حياة ، وأن الفكر الإسلامى ليس فكر المسلمين وحدهم ، ولكنه تحرك داخل إطار الإسلام وإن لم تكن حضارة المسلمين وحدهم ولكنها حضارة الأمم المختلفة التى عاشت وتعيش فى هذه المنطقة وقد انصهرت ثقافاتها وفلسفاتها وقيمها الاجتماعية والفكرية فى بوتقة واحدة : هى الفكر الإسلامى .

وإذا كان الإسلام فى جانبه الدينى هو دين المسلمين فإن الإسلام من حيث هو ثقافة وفكر ، إنما هو عصارة مستوعبة مصهورة لخير ما حملته الثقافات والفلسفات التى عاشت فى العالم الإسلامى والأمة العربية وساهمت فيها مختلف العقليات وشارك فيها أصحاب الأديان المختلفة ، بجهود إيجابية كانت من عوامل قوتها وحيويتها .

ومن الحق أن يقال إن الأديان السماوية والرسالات الإلهية كلها قد نزلت فى هذه الأرض .

ولما كان مصدرها واحدا فقد كونت قيما اجتماعية وروحية وثقافية متلاقية قوامها الإيمان بالله الواحد ، والأخلاق ، **ومن حق أن يقال : إن الفكر العربى**

الإسلامى هو الذى وضع أسس « المنهج التجريبى » والأسلوب العلمى الذى قامت عليه الحضارة الحديثة .

العصمة من التردى :

التوحيد هو الإيمان بالله الواحد ، المنزه عن كل صفة يتصف بها خلقه ، والمنزه عن أن ينسب إلى خلقه شيء من صفاته .

والإيمان بالله قوة دافعة ، تعطى الأمل ، وتحول دون اليأس وتبعث الثقة ، وتدعو إلى المعاودة فى حالة الإخفاق .

وإن ذات الله تبارك وتعالى أكبر من أن تحيط بها العقول البشرية ، أو تدركها الأفكار الإنسانية ؛ لأن العقول مهما بلغت من العلم والإدراك محدودة القوة محصورة القدرة . والعقل البشرى قاصر وحده عن إدراك حقائق الأشياء .

ولقد نهى رسول الله ﷺ عن التفكير فى ذات الله وأمر بالتفكير فى مخلوقاته فقال : « تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله ، فإنكم لن تقدروه قدره » وليس هذا حجرا على حرية الفكر ، ولكن عصمة له من التردى فى مهاوى الضلالة وإبعاد له عن معالجة أبحاث لم تتوفر له وسائل بحثها . فعلينا أن نحصر همتنا فى إدراك عظمة الله فى مخلوقاته .

وقد ظل الإيمان بالله فى مفهوم الإسلام حرا طليقا : لا إكراه فى الدين ولا إكراه فى الإيمان بالله ، وعلى الإنسان العاقل الحر المفكر أن يصل بالاقتناع إلى هذه الحقيقة ، ومن شأن الفطرة الصافية أن تدفع الإنسان إلى الإيمان بالله ، ولن يحجب قلب الإنسان وعقله عن هذا الإيمان إلا تلك الآراء المضطربة التى لا نثبت أمام الدليل والبرهان .

إن الفكر المنطلق الصافى يستطيع أن يصل إلى وجود الله حين يفكر فى هذه الموجودات ، ولما كان كل موجود له صانع فإن ذلك هو أيسر طريق فى الوصول إلى معرفة الله .

* * *

وقد جاء جماعة من الدهريين إلى الإمام أبى حنيفة النعمان يسألونه عن « الله » فقال لهم :

ما تقولون فى رجل يقول لكم :

إنى رأيت سفينة مشحونة بالأحمال ، مملوءة بالأثقال ، قد احتوتها فى لجة البحر أمواج متلاطمة ، ورياح مختلفة ، وهى من بينها تجرى مستوية ، ليس لها ملاح يجريها ، ولا مدبر يدبر أمرها ..

قالوا : هذا شيء لا يقبله العقل .

فقال أبو حنيفة : يا سبحان الله : إذا لم يجوز العقل سفينة تجرى من غير ملاح يديرها فى جريانها فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها وسعة أطرافها من غير صانع وحافظ ؟

والإيمان بالله هو السند القوى ، والملاذ الأعظم ، فى الشدائد والأحداث ونور الأمل فى الحياة ، والطمأنينة فى الوحشة ، والقوة فى الأزمات ، وهو الرابطة التى تربط الشخصية الإنسانية بالكون والحياة والمجتمع والناس ، وهو قوام كل عمل أخلاقى ، أو اجتماعى .

ومن الحق أن رجلا لن يستطيع أن تكون شخصيته – إنسانية – إلا إذا كانت له عقيدة أساسها إيمان راسخ بالله عز وجل .

* * *

وقد خاصم الإسلام الوثنية فى أى صورة من الصور ، والدهرية التى لا تؤمن بالله ، ولا باليوم الآخر ، ولا تقر بالبعث ، وخاصم الثنائية والتعدد واليهودية المادية التى تقول : عزير ابن الله ، والإلحادية التى لا تقر عظمة الخالق .

هل نستطيع أن نستغنى عن العقيدة ، أو عن الدين ؟

ذلك سؤال يدور فى الأذهان ، ويجرى على الألسنة ، ويردده أصحاب الدعوات الهدامة ، وقد يثير بعض الدهشة ، أو بعض الرضى عند الذين يظنون أن الدين قيد ثقيل .

ولكن هل من الحق أن فى استطاعة إنسان واحد أن يتخلى عن الدين والعقيدة ، وهل فى استطاعة مجتمع – أى مجتمع – أن يتخلى عن الدين ؟ وعندى أن ذلك أمر مستحيل ، ونحن – بالحق – لا نستطيع أن نكشف عن ضرورة الدين إلا عند الأزمات النفسية ، حين يتطلع الفرد فلا يجد له من مجير إلا أن يلتجىء إلى قوة كبرى يحتمى بها ولا سبيل أن ينفصل إنسان عن القوة العليا التى أوجدته .

ومن يتخل عن هذه العقيدة فلابد أن يجد فراغا نفسيا يحتاج إلى عقيدة أخرى لتحل فيه ، ولن تكون هذه العقيدة الأخرى إلا ذلك الخليط من الفلسفات والنظريات والمذاهب المتضاربة التى لا تعطى الروح طمأنينة ، ولا القلب سكينة ولا العقل ثقة .

ولقد عاشت الأمم بالأديان ، وما من أمة على التاريخ إلا كان لها دين وعقيدة وكانت تعبد الله على نحو من الأنحاء ، أما نحن المسلمين فإننا نحرر مفهوم العقيدة بالتوحيد إيمانا بالله وحده لا شريك له .

* * *

إن الإيمان بالله ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية والإيمان بالله هو أساس الفضائل ، ولجام الرذائل ، وقوام الضمائر ، وسند العزائم فى الشدائد ، ونور الأمل فى الصدور وعماد الرضى ، وسكن النفوس إذا أوحشتها الحياة ، وعزاء القلوب إذا نزل الموت .

* * *

إنما يؤكد الإيمان ويعمقه ، أن تؤمن برقابة الله وعدالته واطلاعه عليك ونظره إليك ، فإن هذا الإلهام يبعث يقظة فى الضمير وحياة فى الشعور ، ولو آمن الناس بالجزاء والحياة الآخرة واعتقدوا أنهم مردودون إلى حياة أبقى وأخلد لعمق إيمانهم .

المصدر الأول :

اقرأ القرآن فإنه هو المصدر الأول ، وإليه يرجع كل رأى وفكر ونظر وحقيقة ، فى عالمنا ومجتمعنا . وعليك أن تداوم قراءة القرآن ، وتفهم أوامره ونواهيه ومواعظه وعبره ، كما كان المؤمنون يفعلون ، فهو الهادى والسراج المنير الذى ينير لكل الطريق ، والدليل الذى يهدى لأقوم السبل ، وهو العصمة فى الأزمات المدلهمات والرشاد لكل ملمة أو نكسة ، أنزله الله عربيا غير ذى عوج ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وحفظه من الزيف فهو النص الموثق والوثيقة الخالدة .

جمع الله فيه أصول العقائد ، وأسس المصالح الاجتماعية ، وكليات الشرائع الدنيوية .

والقرآن فيه شحنة تؤثر فى النفوس تأثيرا ماديا وروحيا ويظهر أثره على من هداه الله :

﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ﴾(١) .

* * *

وليس فى القرآن – أبدا – أى معنى ، أو خبر يحدث تناقضا مع أحكام العقل اليقينية ؛ لأن إرادة الله لا تتعلق بالمستحيلات العقلية ، حتى المعجزات هى من الممكنات العقلية . وإن كل ما فى السنة الصحيحة معتمد على أصل القرآن ومردود إليه ومقيد به ، فلا يناقضه أبدا .

* * *

القرآن يجعل العقل هاديا والعلم دليلا ، ويحذر من الظن الذى لا يغنى عن الحق شيئا ، ويسخر بالخرافات والأساطير ، ويفصل بين الألوهية والبشرية .

* * *

(١) سورة الزمر

عمل القرآن الأول فى سبيل تربية النفس : هو ردها إلى الفطرة وتخليصها مما علق بها من آثار الوراثة والبيئة وخرافات التقاليد . وأساس الفطرة « التوحيد » :

﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾[1] .

والقلق والأزمات النفسية جميعا مصدرها الابتعاد عن الفطرة .

* * *

خاطب القرآن العقل والروح معا ، واهتم القرآن بالعلم وأول كلماته « اقرأ » والعلم فى القرآن هو العلم بمفهومه الشامل الذى ينتظم الحياة وليس العلم الدينى وحده .

وقد دعا القرآن الناس إلى أن يجعلوا من الكون كتابا للمعرفة . وعن طريق منهج القرآن ، برز المنهج العلمى التجريبى الذى أنشأ الحضارة . وهو مختلف عن المنهج اليونانى السابق للإسلام والذى كان أساسه التفكير المجرد ، وهذه هى أهم نقطة فى حياة البشرية ، هى تحويل الإسلام للفكر الإنسانى من التفكير المجرد إلى التفكير الواقعى فانفتحت أمامه آفاق العلم والاكتشاف ، غير أن العلم حين مضى إلى الغرب ، مشى متحررا من سلطان الأخلاق وقيم الضمير ، وترابط الروح والمادة فانفصل عن مفهوم الإسلام .

المنهاج الكامل :

الصلاة هى الركن الأول وحجر الأساس فى بناء الإسلام :

وهى منهاج كامل لتربية الأمة الإسلامية ، والفكرة فى الصلاة تكوين أمة كاملة . والصلاة تربى الجسم والعقل والروح وهى ما يقصد إليه علماء التربية الحديثة فلكى تصلى لابد أن تكون نظيفا (طاهر الثوب والبدن والمكان) ولابد أن تقوم للصلاة من عملك خمس مرات ، وبهذا تسير الدورة الدموية . والصلاة تدريبات من أقوى التدريبات فى تقوية الإرادة .

(١) سورة الروم .

فإذا سجد لله ، ووضع جبهته على الأرض أحس بعبوديته لله وحده . واستيقظ الضمير والوجدان الصحيح .

﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾[١] .

﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾[٢] .

والصلاة هي مِلاك الأمر كله ، وهي الباب إلى الساحة والمدخل إلى الإيمان كله ، فلا سبيل إلى التماس مثل أعلى للمسلم دون أن يكون مطبوعا على أن يضع جبهته على الأرض لله وحده ، ثم يكون بعد ذلك عزيزا مكرما نفسه عن أن يلتمس رضا الناس بسخط الله .

فالمدخل إلى الحياة كلها يبدأ من هذه النقطة وقِوام الإسلام كله هو « التوحيد » الله وحده يفرد بالعبادة ، وإليه يتجه المسلم دوما ويرتبط به ومنه يبدأ العلم ، وإليه يلجأ إذا حزبه الأمر ، أو ضاقت به الضائقة ، وإليه يفزع في الضراء ، ويكون معه على اتصال دائم .

﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾[٣] لا وساطة ولا شفاعة ، ليس هناك شيء ما يحول بين الإنسان وربه ، وباب الصلاة يفضي إلى كل الأبواب ، وكان النبي إذا حزبه أمر هرع إلى الصلاة .

وعن رسول الله ﷺ :

« إذا أحسن الرجل الصلاة فأتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة : حفظك الله كما حفظتني فترفع ، وإذا أساء الصلاة فلم يتم ركوعها وسجودها ، قالت الصلاة : ضيعك الله كما ضيعتني . فتلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه » (رواه الطيالسي عن عبادة بن الصامت) .

التجربة الكبرى :

ليس للمسلم قدوة غير رسول الله « محمد » ﷺ وكل مثل وقدوة أخرى فهي تبع له والتماس منه .

---

(١) سورة العنكبوت . (٢) سورة النساء . (٣) سورة البقرة

ولست تجد فى تصرفات رسول الله ﷺ فى الحياة مشقة أو تخوفا يجعلك تقول مع القائلين المثبطين : (أين نحن من رسول الله) .

فالحق أن حياة الرسول وكلماته إنما هى « التجربة الكبرى » التى يجب أن ننظر إليها دوما ، ونحاول أن نقترب منها ، فإذا لم نستطع أن نصل إليها – وهذا طبيعى – فلا أقل من أن نجد فيها الهدى والتوجيه .

وهذه محاولة لالتماس « منهج حياة » للفرد المسلم من كلمات الرسول : « الوقت » : كم هو غال وثمين ، إنه هو الحياة ، هذا الصباح الذى يطلع علينا كل يوم يجب أن يهز نفوسنا هزا ليلفتنا إلى أنه قطعة من حياتنا قد اقتطعت فلا تمر إلا وهى تحمل معها عملا جديدا ، أو إضافة جديدة ، نبنى خلالها لبنة واحدة ، فى بناء الحياة الشامخ ، أو نكتب سطرا واحدا ، أو نقدم شيئا جديدا .

ويحدد الرسول قيمة الإنسان : أى قيمة للإنسان عند نفسه وهى أمانته الغالية ، كيف يحيا بها هل يقدر قيمتها فلا يبيعها رخيصة ؟ يقول الرسول : « كل امرئ يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » ما أخطر هذا النص ، وما أحرانا بالتماس مفهومه عميقا عميقا . هل نقدم أنفسنا رخيصة فى سبيل غايات سهلة بسيطة ، أم نقدمها غالية فى سبيل أعمال ضخمة تصنع مجد أوطاننا وأمتنا وتضيف إلى كرامة أمتنا كرامة أشخاصنا .

والرزق : كم هم ظالمون أولئك الذين يرتكبون الخطأ فى سبيل الإسراع فى الحصول على الرزق من غير الحلال والحق ، ولو سمعوا قول الرسول لترفقوا بوسائل الكره والظلم ، وعرفوا أن رزقهم سوف يأتيهم بالحق والحلال :

« إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها ، ألا فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصى الله » .

« ليست الزهادة فى الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن الزهادة فى الدنيا أن تكون بما فى يد الله أوثق مما فى يدك » .

وأشار الرسول فى عديد من أحاديثه إلى الكرامة الإنسانية : وحث على الحفاظ عليها وإعزازها ، يقول :

« من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا » .

« لا يكن أحدكم إمعة ، يقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » .

اطلبوا الأمور بعزة النفس :

ودعا النبى إلى إحسان العمل ، فيقول :

« إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته (سكينه) وليرح ذبيحته » .

ومن الوصايا الخالدة : « لا تغضب » .

فلتحرص دائما على أن لا يفقدك الغضب قدرتك على معرفة الحق ، هذه القدرة على ضبط النفس عند الغضب هى كفاء القوة بل هى القوة نفسها ، يقول الرسول ﷺ : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » .

ويدعو الرسول ﷺ إلى الأخوة ومحبة الناس واخائهم . يقول الرسول ﷺ : « من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » . وقال : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

ودعا الرسول ﷺ إلى حسن الخلق : « أكمل الناس إيمانا أحسنهم أخلاقا » .

وقال : « ما من شيء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذيء » .

والصبر ليس صبرا سلبيا ، ولكنه عمل إيجابى بناء . يقول الرسول ﷺ : « وما أعطى أحد عطاء خيرا ولا أوسع من الصبر » .

ويجعل الرسول ﷺ « **البر** » مقياسا للعمل الصالح ، ويجمله فى عبارة وضيئة .

« البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى النفس ، وكرهت أن يطلع عليه الناس » .

ويدعو إلى اختصار الخصومة : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » . تلك هى القدوة من رسول الله ﷺ .

الفرق بين الحرية والفوضى :

إن عدة الإنسان المسلم : الخلق والإيمان فإذا فقدهما فقد كل شىء ، وإذا عاد إليهما عاد إليه كل شىء .

وإن أفضل الوسائل فى إصلاح النفوس : هو الدين ، فهو الذى يوفر لك ما تصبو إليه من راحة الضمير وسعادة النفس .

وإن المسلم يرى أن أمام إرادته إرادة الله ، وأن وراء تقديره تقدير الله ، والمؤمن دائما لا ييأس على ما فاته ولا يفرح بما آتاه الله : ﴿ **لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** ﴾(١) .

ولتكن لك إرادة قوية موجهة إلى الخير ، إذا صممت على عمل فليكن – أولا – عملا نافعا خالصا لله ، ولأمتك ، وفى حدود شرع الله لا يناقض الحق ولا العدل ، ولترتبط إرادتك دوما بالخير والحق والعدل . ويجب أن نفرق بين الحرية وبين الفوضى .

ويجب أن نربط بين حق الحرية وبين ضوابط المجتمع وضوابط **حماية الإنسان نفسه** ، **فالحرية حق طبيعى ولكن لها آدابها** ، وهى مرتبطة إلى حد كبير بمراعاة حدود الآخرين وحقوقهم وكراماتهم .

---

(١) سورة الحديد .

وليس صحيحا ما يقال من أن احتماء الإنسان بالأخلاق ، أو كظم الغيظ ، أو عدم التردى فى الرذيلة من شأنه أن يضر بالإنسان بل العكس هو الصحيح .

وهذه نظرية ذاعت وشاعت ، والنظرية ليست من العلم الصحيح ولكنها من افتراض الفلاسفة ، **وموقفنا من كل نظرية أن نعرف من هم أصحابها ، فإذا كانوا من العلماء الذين يرجون الخير للمجتمعات البشرية ، فعلينا أن ننظر فيها ، وكل نظرية تعارض أصلا من أصول الدين فهى لابد باطلة** ، وتستهدف غرضا خطيرا يراد به أن يضار الإنسان والمجتمع .

فإذا عرفنا أن هذه النظرية قد قال بها مفكر له طبيعته ومجتمعه وظروفه الخاصة ، وجدنا هنا جانبا من الضعف ، فإذا عرفنا أن زملاءه من العلماء قد عارضوا مفهومه هذا ، واختلفوا معه ، وانفصلوا عنه ، عرفنا إلى أى حد كان خطأ افتراضه ، فإذا عرفنا أن قوة عالمية لها هدفها فى تدمير المجتمعات البشرية هى التى حملت هذه النظرية إلى مجالات الدراسة والجامعات والأدب ، وأذاعت بها وأحدثت حولها هذه الضجة الخطيرة بما لم يحدث لغيرها من النظريات كان لها أن تعرف القصد ، وفضلا عن ذلك فإن مجراها مخالف للفطرة . فالكظم والتسامى مفهوم أساسى للنفس .

* * *

إن الخلق الكريم الذى يملأ نفس الشاب المسلم يحول بينه وبين أن يأخذ ما ليس من حقه ، فلا تقوم علاقاته مع الناس (رجالاً ونساء) إلا على أساس هذا الحق ، فلا تجرين فى خاطره رغبة فى أن يخدع أحدا تحت أى اسم براق من أجل أن يحصل على شىء ليس من حقه ، وخير له أن يحصل على ذلك عن الطريق الصحيح إذا كان مقتنعا به .

وفى علاقة الشباب بالفتيات الزميلات ، على الشباب أن يتمثل هذه الزميلة أختا له ، لها عليه حق الرعاية بالحق والصدق ، وليتصور أنه لو استطاع أن يخدعها فإن ذلك مردود إليه فى أهله ونفسه ، وليثق أن أى شىء يأخذه بغير الحق فإنه لن يمر دون حساب ، أو جزاء من الله ، وأن هذا كثيرا ما يعجل فى الدنيا ،

وأن الذى يستطيع أن يسرق شيئا قليلا فإنه سيفقد باليقين أضعافه ، ولا يظنن أن أحداً لن يراه ، أو أنه سيفلت من العقاب ، ذلك لأن مدار هذا الكون هو على الحق والعدل . وأن كل أمر فيه لا يمضى دون ثواب ، أو عقاب .

وعن رسول الله ﷺ :

« لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يكذبه ولا يحقره ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » [رواه مسلم] .

الهدف من الحياة :

لابد لكل منا من هدف ورسالة ومثل أعلى وإلا فسنكون ضائعين مضيعين . ولابد أن نعرف هدفنا فى هذه الحياة والدور الذى سنقوم به ، وإذا ما عاش إنسان بغير هدف ورسالة فإنه قد ضيع نفسه ، وأصبح يعيش على هامش المجتمع ، ولكى يختار رسالته لابد له من مثل أعلى ، وأمامنا نماذج ممتازة من أبطالنا وأعلامنا الذين عملوا فى كل ميادين الحياة **وأعظم رسالة لنا هو أن نخدم أمتنا ووطننا وأهلنا وأن نضيف لبنة جديدة فى بناء الإنسانية الكبير .**

إننا فى مرحلة جادة ، ليس فيها وقت كبير للترف ، أو الهوى ، ونحن فى حاجة إلى الرجولة والجد فى العمل والإيمان الأكيد .

وإن العظيم فى أمته لا يكون عظيما إلا بأن يعمل لأمته عملا ينفع الناس ، أو يقدم فائدة يسديها للجماعة ، وهذا يتطلب منه أن يكتشف مواهب نفسه المدفونة ، قادرا على العمل العظيم مع الخلق العظيم ، مع التواضع والسماحة .

ولا قيمة للفرد بلا عقيدة يخضع لها عمله . وبلا عبادة تصله بخالقه ، ولتعلم أن كل حق يجب أن يقابله واجب وأن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم .

عن رسول الله ﷺ :

« اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » .

وعنه ﷺ :

« من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه . ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله ما بينه وبين الناس » .

ويقول : « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا به » .

ويقول : « من تعلم العلم ليمارى به السفهاء ، أو يباهى به العلماء ، أو يصرف وجوه الناس إليه ليعظموه ، فليتبوأ مقعده من النار » .

ويقول : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، فاطلبوا العلم من مظانه » .

الفصـــل الأول

بِنَـــاءُ آلشَّخْصِيَّـــة

من شأن كل شاب يلتمس لنفسه الشخصية البارزة أن يجمع بين عناصر الإيمان بالله عز وجل ، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والبعث والجزاء .

وأن يتوكل على الله توكلا مستنيرا : ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره** ﴾ وأن يحب رسول الله محمد بن عبد الله ويعظمه ويوقره : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » وأن يحافظ على العقيدة من الشبهات والمضللات ، وأن يجعل القرآن ربيع قلبه ونور عقله ، وأن يطلب العلم وينشره ويذيعه : ﴿ **لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾[1] .

وأن يحفظ اللسان عما لا يحتاج إليه من الغيبة والنميمة والغش ، والأمانات تؤدى إلى أهلها : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** ﴾[2] .

ومن شرط الإنسان الكريم أن يكون من الذين هم لفروجهم حافظون : ﴿ **ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا** ﴾[3] .

ولا يأخذ مالا بغير حق ، ولا يأكل الرشاوى :

« إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام » .

﴿ **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير** ﴾[4] ، ﴿ **إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه** ﴾[5] .

وكل مسكر حرام على إطلاقه ولا داعى للتأويل .

ولنقارب أهل الدين والعلم ، ونخلق بيننا وبينهم المودة وننتفع بعلمهم وتجربتهم .

﴿ **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** ﴾[6] .

وحق الطريق : غض البصر وكف الأذى ورد السلام . وعلينا إكرام الجار حتى يأمن بوائق جاره ، وإكرام الضيف وحسن الخلق أكرم علامات الشخصية البارزة ، ويدخل فيه كظم الغيظ ولين الجانب والتواضع : يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس** ﴾[7] .

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) سورة النساء .
(٣) سورة الإسراء .
(٤) سورة المائدة .
(٥) سورة المائدة .
(٦) سورة النساء .
(٧) سورة آل عمران .

ويقول الرسول ﷺ : « إن من خياركم أحسنكم أخلاقا ، وما خير رسول الله بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما » .

والتقوى هى ذلك الخلق النفسى الذى يجعل من الإنسان رقيبا على نفسه فى كل تصرف من تصرفاته ، وفى كل جانب من جوانب عمله .

فالتقوى هى السلوك الصحيح السليم فى كل ناحية :

أداء حق الله فى العمل ، وأداء حق الأهل فى الأسرة ، وأداء حق النفس فى العبادة .

وصاحب التقوى ينطبع سلوكه عادة بالشرف والاستقامة والتفانى فى أداء الواجب ، والترفع عن الدنايا ، أمينا فى عمله ، صادقا فى تعامله .

وهذا هو أكبر علامات النجاح فى الحياة .

* * *

وإذا رأيت خطأ ، أو شرا ، أو منكرا فلا تقل :

هكذا الدنيا وهكذا الناس ، فلماذا أخرج أنا وحدى عما يخوضون فيه ..

ذلك أن من علامة اكتمال الشخصية أن لا تكون إمعة ، وأن تكون قادرا على معرفة الخير وأن تفعله أيضا .

ولتكن قادرا إذا تبين لك الحق أن ترجع عن الخطأ فليس أعظم من إنسان يرجع عما كان فيه متى تبين له أنه خطأ ، وعمر بن الخطاب فعل مثل هذا وقال : « أصابت امرأة وأخطأ عمر » إنه ليس من شأنك أن يحسن الناس أو يسيئوا ، ولكن عليك نفسك ، فإن الله سائلك وحدك عن عملك .

والمسئولية فردية هنا ، ومن حقك أن تكون إيجابيا وقادرا على اختيار الطريق الصحيح .

إن من شأن العوام أن يقولوا ما لنا ، ولكن المثقف الممتاز صاحب الشخصية المستقلة فشأنه غير هذا ، إنه قادر أن يتحرر من الخطأ .

الضوء الكاشف :

إن تجربة من هم أكبر سنا وأسبق على طريق الحياة ، من الكنوز التى تستطيع أن تنتفع بها فهى تضيف عمرا إلى عمرك ، وتكشف لك عن مفاوز الطريق ومزالقه فتتفاداها ، وتوفر عليك الجهد فى أن تقع فى الأخطاء .

إن من الخير لك أن تطلبها مِنِّى لا أن تضيق بها إذا قدمتها إليك ، إننا قد انتفعنا بتجربة من سبقونا فكانت لنا ضوءا كاشفا ، ووفرت علينا الكثير من الجهد ، وكشفت أُمامنا أشياء كثيرة ، وحالت بيننا وبين أخطاء كثيرة .

ومن الطبيعى أن يلتقى جيلكم بجيلنا لا ينفصل عنه ، ذلك أننا نحن وأنتم — إنما نمثل حلقات متصلة فى عقد طويل ، أو فى مسيرة طويلة هى مسيرة الحق والعدل ، لا تصدق هؤلاء الذين يقولون : إنما نحن نريد أن نحجبك أو أننا نعزلك ؛ لننفرد باستمرار البقاء إنهم لا يفهمون نواميس الكون ولا سنن الوجود .

ليست هذه الدنيا لنا ولا لكم بالوراثة ، ولكنها لنا ثم لكم بالعمل والجهد المبذول فى سبيل بناء الحياة ، إن كلا منا سيضع لبنة فى البناء الكبير ثم يمضى ، تلك رسالة كل منا ، وأنتم لا تستطيعون أن تنفصلوا عنا ، إذ عليكم أن تكملوا ما بدأنا ، ونحن كنا كذلك بالنسبة للآباء ، نصحح أخطاءهم ونكمل أعمالهم ، وندفع العجلة ، ونحرر النفس الإنسانية بالكلمة والعمل ، فى نطاق الإيمان بالله ، وإقامة العدل ونشر الأخوة والمحبة ، نحن وأنتم على طريق واحد ، فى مسيرة هذا الكون الكبير الذى خلقه الصانع العظيم وجعلنا فيه أجيالا تأتى بعد أجيال .

ومن هنا فإن كل لبنة تضعونها لابد أن تكون مناسبة لما سبقها من لبنات ، مرتبطة بما سيجىء بعدها ، ولذلك فإن دعاة الخطأ لا يصدقون حين يقولون لك : إنك تستطيع أن تصنع شيئا منفصلا عما قدمه السابقون ، فأنت مرتبط بمن سبقك جذريا وطبيعيا ، وأى لبنة تكون غير مرتبطة بما سبقها سوف تسقط كالثمرة الفاسدة ، ولن يستقيم لها بقاء ، وسوف يدفعها قانون الكون وناموس الحياة الدقيق ، إلى أن تجف وتذبل .

ومن هنا أيضا كان خطأ الصيحة التى تقول : إن أجيالنا الجديدة حرة فى أن تفعل ما تشاء ليس عليها رقابة ، أو وصاية ، تلك صيحة خطأ ، ظاهرها براق ولكن مضمونها شر كله ، **إن هذه الأجيال الجديدة لن تكون أهلا لأن تقوم مقام أسلافها إلا إذا كانت أكثر علما ورجولة وصمودا وحيوية فى حمل المسئولية ، ولكى تصل الأجيال إلى ذلك لابد من أن تمر بمرحلة النضوج والرشد حتى تصل إلى الإبداع ، وتلك تتم فى حضانة الجيل القائم وفى ظل توجيه الأبوى الحانى الصادق النصيحة ، فإذا ما انصرفت الأجيال الجديدة عن الانتفاع بخبرة من سبقها فسوف تضيع بين التيارات الخطيرة التى يقذفها النفوذ الاستعمارى ، وهذه الصيحة واحدة منها ، إنما يراد بها تدمير هذا الجيل الجديد بعزله عن جذوره وماضيه وتراثه وقيمه ، وبحجبه عن الضوابط التى تخلق فى وجوده الصمود وفى كيانه القوة ، فإذا حجب عنها تراخى وضعف عن أن يحمل اللواء ، إنما تستهدف هذه الدعوات المضللة الاستعمارية إلى إثارة الصراع بين الجيل الجديد ومصادر وجوده ، حتى يفسد المجتمع كله ، ويضطرب أمره ، وينشأ جيل ممزق ، ضعيف ، ليست له قيم أمته ، وليست فيه صلابة أسلافه الذين أقاموا هذه النهضة وحملوا لواء هذه اليقظة .**

إن دعوة تحرير الشباب من تجربة الجيل الرائد خطأ كبير ، يرضى غرور الشباب حقيقة ، ولكنه لا يصدقه النصيحة ، ولا يخلص له القول الحق .

* * *

النور والضياء :

حينما يطل الشباب على الحياة يجد أمامه طريقين :

طريق الخير وطريق الشر .

وطريق الخير صعب فى أوله ولكنه إلى النور والضياء يفضى ، وطريق الشر براق لامع ولكنه إلى الظلام منتهاه .

● **أما طريق الخير فهو يعطى الشخصية قوتها وحيويتها وقدرتها على أن تكون عاملة إيجابية ، تحفظ قوام حياتها العقلية والجسمية والروحية من أن يتبدد**

فى الشباب ، ثم يكون الضعف والانهيار فى المراحل التالية من رجولة وشيخوخة .

● **أما طريق الشر** فإنه يلذ للإنسان أوله ، ويجد فيه طابع السرور القصير ، ثم يفضى إلى أن تنهدم الشخصية تماما .

ومن الحق أن نقول : إن طريق الشر سهل وفيه إغراء ، ولكننا يجب أن نكون على حذر منه كبير ، وعلينا أن نواجهه بمفهوم واضح .

كل شاب يعلم أنه إنما يريد أن يعيش طويلا ، وأن يعيش حياته كلها فى صحة وقوة ، وأن يظل فى مختلف سنوات حياته كامل الرجولة ، قوى الجسم والنفس ، وذلك لا يتوفر إلا بسلوك الطريق الأشق : طريق الخير .

إن كل صاحب هدف ورسالة وشخصية ممتازة ، عليه أن يجنب حياته الإسراف فى إنفاق ما هو مدخر فى صحته وقوته فى أول الطريق ، فإنه سيحتاج إلى هذا المدخر على طريق العمر الطويل ، وسيندم يومئذ على ما أسرف ، إذا علت به السن وانتابته الأمراض .

إن رأس مال الشباب هو فى صحته وقوته وحيويته ، هذا هو الكنز الذى يحافظ عليه اليوم ، لينفق منه فيما بعد ، عندما يتوقف النمو ، ولم تعد هناك موارد جديدة .

هذه المحافظة تتمثل فى اعتدال : فى الطعام والشراب والسهر والعمل واللعب والملذات كلها .

إن من حق كل شاب أن يأخذ من متع الحياة المباحة ما يشاء فى حدود ما أجله الله وفى حدود قدراته ، ولكن عليه ألا يسرف ، والإسلام لا يقر الزهد ولا يقر الإسراف ، وإنما يدعو **إلى الاعتدال** : ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولاتبسطها كل البسط** ﴾[1] ومن شأن ذلك أن يحفظ العقل والقلب ويحفظ الجسم أيضا ، دون أن يسقط المرء بين كل حين وحين فى مرض من الأمراض ، ثم يستقبل خريف العمر متهدما محطما .

---

(١) سورة الإسراء .

إن كل الاضطرابات العقلية والجسمية إنما تجيء من الإسراف فى الطعام والشراب ، وكل ما حرمه الإسلام إنما حرمه من أجل الحفاظ على هذا الكيان الإنسانى (عقلا وجسما وروحا) : الحفاظ عليه سليما قويا قادرا على العمل والحياة والانتاج من أجل أمتك ووطنك ونفسك ومستقبلك .

إن هذا التحريم ليس عقوبة ولا قسوة ، ولكنه عين الرحمة ، إنه قد صدر عن حكمة كبرى ربما لا تتبينها اليوم ولكنك ستحمدها غدا ، هو بقاء هذه الشخصية قوية وقادرة .

* * *

إن الاستعمار يعلم أنه متى ساد التهاون فى القيم الأخلاقية والإيمان والشعائر الدينية ، التى هى مناط التماسك ، فإن الانحلال سيسود ومتى ساد الانحلال انهار الكيان من أساسه ، ومتى انهار الكيان قفز الاستعمار وسيطر بكل قواه .

* * *

عن رسول الله ﷺ قال :

« ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان :

من إذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل ، ومن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له » .

* * *

« وأربع من كن فيه نشر الله تعالى عليه رحمته وأدخله جنته :

من آوى مسكينا ، ورحم الضعيف ، ورَفَقَ بالمملوك ، وأنفق على الوالدين » .

وعنه ﷺ أنه قال :

« استحيوا من الله حق الحياء : من استحيى من الله حق الحياء ، فليحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى » .

اقرأ وناقش :

إن من حقك أن تقرأ كل كتاب وتناقش كل رأى ولكن عليك أن تعرف أولا : ما هو الإطار العام الذى تتحرك فيه ، ومن أين يأتى الخير ، وما هى دوافع الناس وأهدافهم .

إن كل ما يكتب من خارج وطنك يحتاج إلى وقفة تأمل ، هل هو لخدمة أمتنا ووجودها ومثلها العليا ، أم أنه لهدم هذه القيم ؟

ولأجل أن تنطلق من نقطة واضحة ، عليك أن تذكر أن فكرنا هو عماد أمتنا ، وهو علامة قوتها ، وهو فكر أصيل ، مرن ، له تاريخ مجيد ، وبطولات رائعة ، وأمجاد خصبة ، ونحن نثق به ، ونؤمن ، ونتحرك من داخله .

وإن لنا دينا وإيمانا بالله وإيمانا بأمتنا ووطننا ، فكل ما يدعو إلى بناء هذا الإيمان وهذا الوطن فلنتقبله .

إن أمتنا تواجه حربا عاتية وخصومة من أعدائها الطامعين فى السيطرة علينا ، ولذلك نحن فى حذر من تلك الحرب النفسية التى يشنونها هادفين إلى الفصل بيننا وبين قيمنا وتاريخنا ، أو التشكيك فى قوتنا المعنوية ومكاننا وتراثنا .

لنعرف ما هو الحق وما هو الباطل ، ولنرد عادية الشبهات ، إن العدو الآن يختفى وراء مظاهر براقة من الكلمات فلنكن قادرين على أن نكشف الحقائق .

ليحم الشباب نفسه من الأدب الرخيص المبتذل ، والقصص المسمومة ، والأغانى التى تحمل نداء الجنس والإغراء ، والكتب الهدامة ؛ كى لا تصاب نفسه الطاهرة وروحه النقية بأسواء التحلل والإباحة وموجات الضعف والتخاذل . فتنهار القوى وتنهار معها القيم والمثل .

ليس الفن الرفيع موضع خلاف ، ولكن الخلاف دوما حول الفن الرخيص ، ومقياس الفن الرفيع أنه يعلى القيم الإنسانية ويتسامى بالإنسان ، ويدفعه إلى القوة والكرامة والإيمان .

إن الأخلاق فى قيمنا العربية الإسلامية هى مقياس الفن ، وأمتنا بتاريخها الطويل فى مجال الرجولة والكرامة والإيمان لا تقبل الانحراف الشديد فى المسرح والموسيقى والرسم العارى الخليع والقصة ، إن هذا الانحراف ليس من طبيعة الحياة ، إنه خيال ولكنه خيال مسموم ، يتنافى مع حقائق الأشياء ، ومع واقع أمة أخلاقية الطابع ، وهو مستورد من أمم أخرى ربما لها قيمها ، ولكنه دخيل على قيمنا ، نحن نؤمن بأن الفن شيء كريم ورفيع وفيه تسامٍ بالغرائز وارتفاع بالنفس الإنسانية إلى الخير والضياء .

* * *

يقول رسول الله ﷺ :

« أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل أمكنه طلب العلم فى الدنيا فلم يطلبه ، ورجل علم علما فانتفع به من سمعه من دونه » .

ويقول : « **أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم** »

ويقول : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

ويقول : « **العلم علمان : علم فى القلب فذلك العلم النافع ، وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم** » .



الفصـــل الثانـى

أَخْطَـــارُ ٱلعَصْـــرِ

من الخير لك أن تعرف أن فترة المراهقة هى مرحلة انتقال من الطفولة إلى الشباب ولذلك فإنك ستتعرض فيها لبعض الأزمات العاطفية وبعض الاضطرابات النفسية ، وإنك لست وحدك الذى تمر بذلك كما تظن حين تخفى ذلك عن زملائك ، بل هم جميعا فى هذا العمر يمرون بنفس هذا الموقف ، فلا يزعجك هذا وحاول أن تستعين بالله على ما يمر بك من أمر ، وأن تختار رأى العقل ما أمكن ، وأن تجعل الخير هداك ، حاول أن تكون معطيا لا آخذا ، حتى تمتلىء نفسك ثقة بأنك صاحب شخصية كريمة عالية على الشر ، نافعة للمجتمع ، وثق أن ذلك سيفتح لك الطريق ؛ لتكون من القادة فى مجتمعك ، وإن بطولة الخير أعظم من بطولة الشر ، فالمجتمع يلفظ صاحب الجريمة ، ويطرده ، فإذا عاش ففى الظل ، سيتحاشاه الناس ويعاملونه فى حذر شديد .

بينما تبرز شخصية الإنسان الخير رويدا رويدا ثم تسطع أكثر تألقا وأكبر نورا . ويكون دوما موضع التقدير .

* * *

والمراهقة انتقال جسدى وعاطفى وعقلى واجتماعى من الطفولة إلى الشباب ، أى إلى الرجولة ، أو الأنوثة ، وهو ليس بالانتقال المفاجىء ، ولكنه انتقال طبيعى يتم على فترة واسعة ، وتطور متدرج فإذا فهمت هذا مرت أزمته على سلام ، وليس هو بالخطأ ، أو الخطر ، بل إنه دلالة على أن الشباب أصبح فى مرحلة المسئولية وتكوين الشخصية القادرة على العمل والفاعلية فى المجتمع ، ثم تجد طريقها إلى البطولة .

فعلى الشباب فى هذه المرحلة أن يكون مثالا للأخوة والمحبة والصداقة والوفاء فى معاملة الناس ، وقربا إلى الله بالإيمان والعبادة ، وتثقيفا للذات ، ومعرفة لجوانب مختلفة من الفكر والثقافة ، وتنمية لمواهبه وهواياته وشغل أوقات الفراغ بما يضيف إلى شخصيته قوة وثباتا .

وهذا الجيشان العاطفى فى المراهقة يمكن إعلاؤه والتسامى به إلى خدمة الناس ومحبة الآخرين ، ولا شك أن الإيمان بالله يهدى كثيرا فى هذا المجال .

ولتحرص فى مرحلة المراهقة على عدم الإسراف فى أحلام اليقظة حتى لا تنفصل عن واقع المجتمع ، ووائم بين رغباتك وبين نظام المجتمع والأسرة ، وحاول أن تحصل على ما تشاء الحصول عليه بالتفاهم والاقناع ، واقبل كل ما يعرض عليك ، وإن كان أقل مما تطلب ، فليس كل ما يطلبه الإنسان يمكن أن يتحقق بالكامل ، واجعل من الإحساس بسلطة الأهل سبيلا دافعا وحافزا إلى أن تواصل الدراسة وتنتهى من هذه المرحلة وتبدأ حياتك عاملا حرا فى المجتمع ، شريطة ألا تنسى فضل الأهل وتقوم برد الجميل .

* * *

اجعل علاقة الحب مع الوالدين سبيلا إلى حل مشاكلك ، وقدر ظروف الآباء ومواردهم ومسئولياتهم .

ومن حقك أن تكون لك آراؤك ، المستمدة من سنك وجيلك ، ولكن كن إلى الاعتدال أقرب ، واجعلها مطبوعة بالإيمان بالله ، فإنها تكون أقرب إلى الحق ، وأبعد عن الشر .

ولا شك أن واقعية التفكير من شأنها أن تحميك من الخطر الذى يبدو نتيجة الفارق بين الأحلام والحقائق ، والخيال والواقع .

إن الانجذاب إلى الجنس الآخر أمر طبيعى ، فهذه سنة الوجود وطبيعتها من أجل استمرار النمو والحياة ، ولكن علينا أن نجعل هذه العلاقة فى حدود الإيمان والأمانة والضمير والخلق دائما .

ولننظر دائما إلى أن لنا أخوات نحب أن يعاملهم الآخرون نفس المعاملة ، فإذا رأينا أن هناك تقديرا واضحا للشخصية التى عرفناها ، فعلينا أن نتجه إلى الطريق الطبيعى ، وهو أن نتقدم إلى الأسرة ، ونتعرف عليها فى إطار المجتمع ، وفى حمايته ، ونجعل كل خطواتنا سليمة وعاقلة وشريفة ، ومن شأن ذلك أن تجعل العلاقة الزوجية – من بعد – خصبة وعميقة .

أما التفكير العاطفى الذى ينطلق إلى الرغبة فى طلب ما ليس من الحق طلبه ، أو الإغراء بالأكاذيب ، أو الخداع فإن ذلك لن يكون إلا مصدرا للشر

الكبير لمن يقصد إليه ، فإن الله سبحانه رقيب ، وسينال كل طامع فيما ليس من حقه ، عقابا ، ذلك جزاء العدل الإلهى الذى لا يتخلف ، وهو يجرى فى الحياة ويلاحق صاحبه بالندم فضلا عن جزاء الآخرة .

* * *

وعليك أن تشغل نفسك فى هذه الفترة بوضع مشروع لحياتك ، **حاول أن تتبنى رسالة للعمل فى المجتمع ، واجعل لنفسك هدفا ، فما تساوى الحياة شيئا إذا لم تكن ذات هدف .**

وحاول أن تنتفع بتجارب الآخرين وأن تتطلع إلى المثل الأعلى فى تاريخ الأبطال الذين يمتلىء بهم تاريخ أمتك .

الشخصية الممتازة :

كن شخصية سوية بالتوسط بين العاطفة والعقل ، لا تستسلم لغرائزك ورغائبك ، بل كن قادرا على أن تسيطر ، وأن تحرر إرادتك وأن تعلو على الشهوات والأهواء ، وبذلك تصل إلى مكان الشخصية الممتازة التى تتطلع إليها .

« إن ثمة مكونا لشخصيتك غير الوراثة والبيئة ، هو أنت ، فأنت قادر بحكم كونك إنسانا ، على النظر فى ذاتك ونقدها ، وتبين وجوه القوة والضعف فيها ، والعمل على محاربة عيوبك والتخلص من نقائصك ، والارتفاع بنفسك إلى حيث تجب أن تكون » .

« **إن الشخصية البشرية لا تستكمل نموها ولا تبلغ ذروة هذا النمو إلا بالتخدى الدائم لذاتها ، والعمل الدائب على إصلاح عيوبها واستكمال نقائصها** » .

* * *

كبار النفوس لا يحسدون ، والاختلاف فى متاع الدنيا بينك وبين غيرك ، لا يجب أن يثير فى نفسك الحقد ، أو الكراهية **وإنما مجال المنافسة الحقيقى ، إنما هو فى العمل الصالح ، وستذهب الأموال وتبقى الأعمال** ، فمن استطاع أن

يقدم لأمته ولوطنه عملا ، فإن اسمه سيظل خالدا وسيكون موضع التقدير والتكريم ، أما التنافس فى الأمور المادية فإنها من الوسائل التى تضيع الجهود والأوقات ، وتسىء إلى النفوس والقلوب ، وتشغلها بما ليس للإنسان فيه يد أو أثر .

ليس صحيحا على إطلاقه القول بأن مصدر الجرائم أو الفشل ، أو الخطأ : الغدد والأعصاب ، فتلك محاولات لتبرير الخطأ .

وإنما تصنع الإنسانَ الإرادةُ والعقل والإيمان ، وهى التى تستطيع أن تنقل الإنسان من حال إلى حال **وكل إنسان يخطىء ولكن المؤمن يعود سريعا من رحلة الخطأ ، أما غيره فإنه لا يعود** . وكل إنسان قادر أن يتسامى بحياته ، وأن ينقلها بخوف الله ومحبة الخير من الشر إلى الخير ، وأن يحول ذلك بينه وبين الخطأ .

* * *

حاذر من « الغرور » فهو داء العصر الوبيل :

إذا كنت عالما فهناك من هو أعلم منك ، وهناك من **يفوقك فى أى شىء** تزدهى به ، الغنى ، الشباب ، الجمال ، العقل ، الأناقة ، **وثق أنك لم تعلم العلم** كله ، لا نصفه ولا ربعه ولم تحط بكل أمور الحياة ، **فإذا اعتقدت أنك بلغت غاية** العلم فذلك معناه **أنك** تجمدت ، **فلم تزدد علما . فالعلم يتجدد كل يوم** والنفوس التى يملؤها الغرور تحتقر الناس ، وتحس بأنها أرفع منهم شأنا ، وتنغلق على نفسها ، فلا تقبل رأيا من خبير ، أو مجرب .

وترى أن كل ما تعمله هو الصواب ، وبذلك يفوتها خير كثير ، ويحول الغرور بينها وبين النجاح ؛ فالنجاح لا يتحقق مع الكبر ، أو البطر ، أو الغرور ، ذلك أن النجاح قدرة على الاتصال بالناس والتواضع ، واستيعاب المعرفة فى نهم .

وثق أن السنبلة المليئة من سنابل القمح تنحنى ، والفارغة وحدها هى التى ترفع رأسها فى شموخ الفارغين .

* * *

كن قادرا على التجدد ، على التطور ، على تقبل الجديد ، على الانفتاح والتلقى ، مع الاحتفاظ بقيمك الأساسية وقاعدتك الأصيلة ، إيمانا بالله ، وإيمانك بأمتك وأخلاقها ولغتها وتراثها . لا تجمد عند رأى ، أو علم ، أو قول ، وألبس أفكارك الرصينة أثوابا جديدة ، وعايش الزمن ، وعايش عصرك ، وكن ابن وقتك .

ابغض الترف فإنه يقتل الشخصية ، ويحول صاحبه إلى طابع الضعف والجمود ، ولقد نعى الله على المترفين ، ودعا الإسلام إلى البساطة مع النظافة ، والرجولة مع التواضع .

فالترف يحول بين الإنسان وبين أداء العمل الواجب فى وقته ، وبالقوة التى يحتاجها ، إنه يسلبه الخشونة والقدرة والحركة ، ويجعله أليف الضعف والرخاوة والاستسلام ويجر على الجسم المرض وعلى النفس السقم .

والترف يضر كالزهادة تماما ، والإسلام يرفضهما معا .

* * *

اجعل اختيار أصدقائك قائما على القيم الكبرى : **على الرجولة والإيمان** والوفاء ، واقترب من المتدينين ذوى الأخلاق . **يقول ابن حزم : ثق بالمتدين** ولو من غير دينك .

وابتعد عن المسرفين فى الجدل ، أو المبالغين فى الكلام ، أو المغرورين ، أو الحاقدين ، أو الذين ينفقون بغير حساب .

الاضطراب النفسى :

إن الإنسان أساسا – مادة وروح :

فهو جامع بينهما ، وقد جاء الإسلام وهو دين الفطرة غير مغلب المادة على الروح بل موازنا بينهما فى توسط وتكامل .

ومن هذه الحقيقة نعرف سر أزمة شبابنا :

إن مصدر الاضطراب النفسى فى الفرد هو إعلاء أحدهما وقتل الآخر ، وكذلك مصدر الأزمات فى المجتمعات هو تغليب الروح على المادة ، أو المادة على الروح .

ونستطيع أن نرد أزمات الشباب إلى هذا المعنى .

بل نستطيع أن نرد أزمة الحضارة والإنسان المعاصر إلى هذا المعنى أيضا ومن هذا المنطلق نجد حلا لكل معضلات الفكر والثقافة والمجتمع والحضارة .

فالعلم إذا انفصل عن الخلق صار علما وحشيا قاتلا ، والإنسان إذا انفصل عن جناحه الروحى (الدينى والخلقى) عاش بجناح واحد ، وبذلك دمر كيانه ووجوده وعاش حياة القلق والضياع .

إن العلم من غير خلق معه لا يفيد . ولا نهوض لأمة بغير خلق ، ولا نهوض لفرد بغير خلق .

* * *

إن الإسلام جاء داعيا إلى العلم فمن غير المعقول أن يختلف معه ، ولو فى أقل القليل من حقائقه ، وقد تشكلت مجتمعاتنا وحياتنا والدين جزء منها لا سبيل إلى انفصاله وإن كل ما يحاول خصومنا أن يثيروه من شبهات فى هذا الصدد إنما يقصد به إلى تحطيم معنويات أمتنا وشخصيتنا .

* * *

يقول رسول الله ﷺ :

« الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ألا إن لكل شىء حمى ، ألا وإن حمى الله فى الأرض محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب .. » .



الفصل الثالث

الإسـلَامُ وَٱلشَّبَـاب

لا تجعل التفاخر بأنك « عصرى » و« تقدمى » يدفعك إلى تحقير دينك وقرآنك وتاريخك ، أو يجعلك تستخف بالصلاة ، أو الصيام ، فإن عصريتك وتقدميتك مرتبطة أساسا بقيمك الأساسية وما أعطى الإنسانية (العصرية والتقدم) سوى الإسلام .

إن من أكبر تناقضات الشخصية أن يكون الإنسان محتقرا لأمته ، أو دينه ، أو وطنه ، أو تراثه ، مهما كانت أمته ضعيفة ، أو متخلفة ، وإن من أكبر علامات الشجاعة الإيمان بالجذور والتراث والوطن واللغة ، مع الدعوة إلى التجدد والبناء .

وليس هناك أدنى تعارض بين أن تكون عصريا بمفهوم العصرية الحق ، وبين أن تكون متدينا مؤمنا بالله ، وإذا كان بعض الناس يفاخر بالتحلل وهو شر ، فهل نستحى نحن أن نفاخر بالإيمان وهو شرف كبير .

إن أمتنا لها أمجادها وتاريخها ، وإن هذا الصمود الذى نقفه اليوم مستمد من جذورها ، ومن فكرها الذى أعطى قادتها القدرة على المقاومة .

وسوف نستطيع بهذا الإيمان وهذه المقومات أن نتغلب على كل نكسة ، وقد مر بأمتنا ما هو أشق مما نرى اليوم وأفدح فاستطاعت أن تنتصر عليه بإيمانها .

وليس عيبا على الأمم أن تضعف ، فتلك سنة الحياة تضعف الأمم بعد قوة وتقوى بعد ضعف ، ولكن العبرة بالثبات والصمود ، والعبرة بما تقدم للإنسانية من أثر ، ولقد قدمت أمتنا للإنسانية أعظم ما قدمت أمم ، قدمت ضياء التوحيد ، والمنهج العلمى الذى صنع الحضارة .

* * *

إن العيب الذى يؤخذ على الأمم أن تفرط فى حقها ، أو تتخلى عن مقوماتها ، أو تنصهر فى القوى التى تحاول أن تسيطر عليها أو تغزوها .

على شبابنا فى الحكم على الأمور ألا يجعل العاطفة مصدر أحكامه ، ولا يندفع وراء هواه ، أو ما يحبه حبا ذاتيا ، أو ما تكشف عنه المظاهر القشرية ، ذلك أن الحكم على الأمور يتطلب تحكيم العقل .

* * *

لكل مجتمع قيمه ومكوناته ، التى تختلف عن مجتمع آخر ، هذه القيم مستمدة من كيان الأمة ومن دينها ومن ثقافتها ، وهى فى مجموعها منار هدى فى مواجهة كل ما يحاول الباطل عن طريق المستعمر ، أو العدوان أن يغزوها به من أفكار .

ولو التمست الأمم جوهر مفاهيمها ، والتمس الشباب فطرته العربية الإسلامية لما وقع فى القلق والاضطراب والتمزق .

* * *

لن ننخدع بمن يقول : إن مكارم الأخلاق إنما تتم عن طريق الضمير ، وتغنى عن الإيمان بالله ، أو الارتباط بالدين ، ذلك أن أى عمل نافع لا ينطلق من الإيمان بالله لا يستقيم أمره ولا يصل إلى الغاية منه ، والضمير لا يستطيع أن يكون يقظا إلا إذا كان مليئا بخشية الله والإيمان به .

* * *

علينا تحرير النفس من عبودية الإعجاب بالغرب .

ولنحذر الاندفاع فى حياة المتعة والترف والمادة .

* * *

على شبابنا أن يتقبل النقد الخالص ولا يضيق به فليس النقد إلا وجهة نظر أخرى قد يستفيد منها ، فإذا جاءت من مخلص فإنها تعنى تجربة أكبر ومعرفة أوسع . واجتهد بعد ذلك أن تصلح ما ينقده الناس .

* * *

هناك قيم عامة للبشرية ، ولكل أمة مفاهيمها لهذه القيم ، مستمدة من دينها وتراثها ومزاجها النفسى وتكوينها الاجتماعى .

ونحن كعرب ومسلمين لنا مفاهيم لكل القيم الإنسانية مستمدة من فكرنا وشخصية أمتنا .

فإذا جاءت مفاهيم فكر آخر ، فإنه من العسير تقبلها إلا إذا هزمت مفاهيمنا أساسا وانهارت .

فإذا أرادت الأمم أن تحتفظ بوجودها وكيانها فإن عليها أن تحافظ على مفاهيمها حتى لا يستطيع العدو والغزو الاستعمارى والفكرى أن يصهرها فى بوتقته ويقضى على وجودها .

الإسلام دين مفتوح :

الإسلام : ماذا يمكن أن يعطى الشباب ؟

قرر الإسلام دستور العلم فدعا إلى عدم الانخداع بالأوهام ، أو قبول الظن ، ولا من يقولون بغير دليل ، ودعا إلى اعمال العقل وسؤال أهل الذكر ، فلا يقلدون أحدا ، وأن يكونوا أحرارا فى النظر لا يقيدهم من ذلك شيء .

* * *

أثبت القرآن أن الكون والمجتمعات نواميس ثابتة وقرر أن الجماعات كالآحاد لها آجال لا تستطيع أن تتعداها .

* * *

جعل الإسلام للمبتكرين ثوابا واضحا فى قوله ﷺ :

« من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » .

إن الإسلام دين مفتوح مريح ، ليس فيه سر ولا خفاء ، وهو قادر على أن يضع الحلول لكل المعضلات والمشكلات والأزمات التى تمر بالمجتمعات الحديثة ، ما أرادات هذه المجتمعات أن تطلب حلوله ، إن لدينا من ذخيرة

التجارب ما نهتدى به إلى حل كل معضلة ، وحلول المجتمعات الأخرى من حقنا أن ننظر فيها على أساس أنها صنعت لبيئات أخرى غير بيئتنا .

* * *

إن الإسلام هو الذى صنع تاريخ أمتنا ، وكانت معجزته الخالدة كتابا هو القرآن ما يزال يهدى الإنسانية .

* * *

حث الإسلام على النظر فى الكون وتسخير مواده ونواميسه والسير فى الأرض للاعتبار بأحوال الأمم وأخذ ما يصلح منها .

قرر الإسلام أن مناط السعادة فى الدنيا هى عمل الفرد وأن القرابات والشفاعات لا تغنى عنه شيئا .

* * *

دعا الإسلام إلى عدم استهلاك الإنسان لطاقاته الجسدية والمادية إلا بالقصد ، لا بالإسراف .

إن المثل الأعلى الإسلامى يتمثل فى قوله تعالى :

﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ﴾[1] .

وقوله تعالى : **﴿ كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ﴾**[2] .

* * *

الإسلام لا يحتقر الأمور الدنيوية ، ولا يعتمد على الأمور الروحية وحدها ، وإنما يرمى إلى مثل أعلى رفيع بعيد عن النفعية والرهبانية ، ويجمع بين الدين والدنيا .

---

(١) سورة القصص .

(٢) سورة النساء .

ولم يهمل الإسلام الجانب المادى ، بل دعا إليه ، وجعل بينه وبين الروح ميزانا معتدلا ، فوفق بين الاتجاهين المتقابلين :

« اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

* * *

أطلق الإسلام العقل الإنسانى من قيوده التى كانت تأسره حول المعابد وبين أيدى الكهنة فارتفع إلى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة .

* * *

ليس فى القدر الإسلامى ما يميت شجاعة المسلم ، أو يؤدى إلى فتور همته ، فهذا القدر مرادف لسنة الكون التى تهيمن على جميع المسلمين وتضع حدا لأعمالنا ، والقرآن قرر حرية الإنسان وتأثير إرادته فى عمل الخير والشر .

اللسان والإسلام :

العرب هم أمة الإسلام ، وإذا ذل العرب ذل الإسلام ، ولن ينهض الإسلام إلا بوحدة العرب ، وقد فسر الرسول ﷺ العروبة بأنها اللسان والإسلام : ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هى اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربى .

والقرآن عربى وهو أساس الإسلام وركن الصلاة .

* * *

إن أولى اهتماماتنا الثقافية هى أن نعرف تاريخ أمتنا : تاريخ العرب والإسلام وأن نعرف أبطال أمتنا : أبطال العروبة والإسلام ، فلنقرأ تلك الصفحات الباهرة من حياة النبى محمد ﷺ وأبى بكر وعمر ، وخالد بن الوليد وسعد بن أبى وقاص وعلى وصلاح الدين .

* * *

وإن أمتنا كانت ولا تزال أمة لها أمجادها وتاريخها وقد قدمت للإنسانية والعالم والمجتمع البشرى عطاء كبيرا فى مجال الفكر والحضارة ومن العلوم النفسية والمادية .

* * *

ولقد قرأت يا شباب كثيرا عن الغرب وأعلامه ودوله ، فما أحوجكم أن تقرأوا تاريخ أمتكم وأمجادكم ، فأمتكم هى مهد الحضارات والأديان والبطولات التى ارتقت بالبشرية .

وأظهرت الأمة العربية أبطالا على مختلف العصور والأزمان قاوموا الظلم وحطموا صروحه .

وحفظت أمتنا الحضارة الإنسانية من الفناء والضياع حين ردت الصليبيين وهزمت التتار .

ولم تستسلم الأمة العربية أبدا ، وحاربت فى سبيل المحافظة على كيانها ، ولم تقبل فى سبيل حريتها مساومة ولا تسامحا ، ولم تزدهها نشوة النصر ، كما لم تحطمها مرارة الهزيمة فكانت على استعداد لخوض المعركة فى سبيل حقها ، تؤمن بالنصر وسط الظلام الحالك ، وتسيطر على أعصابها فى أشد الأوقات خطرا .



الفصل الرابع

الحق يعلو

إن هذه الغرائز التى تعيش فى أعماق الإنسان إنما هى قوة سلح بها الفرد لخيره وخير المجتمع ، إنها هى التى تحميه من أخطار الفناء ولكن استعمالها يجب أن يتم تحت رقابة العقل ورقابة الضمير ، فلا تتحول غريزة البحث عن الطعام إلى الإسراف والشره ، ولا تتحول غريزة الإنسان إلى الفسق والعدوان ، ولا تتحول غريزة الادخار إلى الطمع والشح ، ولا تتحول غريزة الظهور والسيطرة إلى الكبر والخيلاء . ولا تتحول غريزة الغضب والمقاتلة إلى سفك الدماء ، أو الجنون ، ولا تتحول غريزة حب الاستطلاع إلى البحث الدنىء عن عيوب الناس .

ومن حق كل إنسان أن يكون حرا ، فهو حق طبيعى ولكن لكل حق ضوابط وضابط الحرية أن لا يكون عدوانا على حق الآخرين . وإذا تعارضت الحرية مع الحق ، أو مع الخير ، سواء كان خير الفرد ، أو خير الأسرة ، أو خير المجتمع فإن على الحرية الفردية أن تقف وتنكمش عند حدود الحق والخير .

* * *

وهناك ممنوعات رئيسية ، لا سبيل إلى تجاوزها ، ولا إيجاد تأويل فى النصوص لتبريرها ، أو إباحتها : هى الزنا والميسر والربا والسكر بالخمر أو المخدرات .

وهذه الأمور التى حرمها الإسلام هى مرذولة أساسا عند العقول السليمة ومستقبحة عند النفوس الكريمة . والدليل على ذلك أنها لا تمارس إلا فى الخفاء . وهى ممنوعة ؛ لأنها تهدم الشخصية الإنسانية ، وتورد مقترفها مورد الاضطراب والهلاك ، وهذه الشخصية التى يجب أن يحافظ عليها صاحبها (عقلا وجسما وروحا) سليمة قوية ، ليكون صاحبها بحق رجلا قويا قادرا على أداء رسالة وعلى حمل أمانة فى الحياة ولا خير فى حياة يكون صاحبها عليلا مريضا مضطربا .

* * *

وليست مقومات الخلق والدين – فى الحق – قيودا بقدر ما هى وسائل حماية بل توسطا بين طرفى الأمر : الإسراف والزهد .

ومفهوم الحرية الحق : أن لا يصبح الإنسان عبدا لشهواته .

* * *

ومن الحق أن نقول : **إن مقاييس الأخلاق والفضائل مقاييس إنسانية خالدة** ، لا يغير منها الزمن ولا البيئة لأنها مرتبطة بالإنسان نفسه الذى صنعه الله من عقل وروح وجسم ، فهى لا تتحول ولا تتغير عن أسسها الأصيلة ، حيث تتصل بعلاقة الرجل بالمرأة ، والرجل بالرجل ، والفرد بالمجتمع . وهناك قيم فرعية ارتبطت بالبيئات والأزمان ، وهذه ليست قيما رئيسية ، ولذلك فهى تختفى وتتغير تبعا للظروف ، وللتحول من بيئة إلى أخرى ، من الريف إلى الحضر ، ومن البداوة إلى المدن ، ومن عصر إلى عصر ، هذه القيم هى التى فرضتها ظروف المجتمعات نفسها ، والتى صنعها الإنسان مستمدا إياها من القيم العليا للأخلاق والفضائل ، وهذه وحدها هى التى تتغير وتتحول ...

أما القيم الأساسية : كالصدق والعدل والحق والحرية والكرامة والإيمان والرحمة والوفاء وغيرها فإنها لا تتحول ، وإذا تحولت ، أو اختفت فقدت الإنسانية ركائزها وفسد تركيب المجتمعات كلها .

ومن هنا فإن كل ما يقال من أن بعض القيم هى من مخلفات عهود مضت ، إنما هو قول يراد به تشجيع الدعوات الهدامة التى ينشرها الاستعمار والصهيونية من أجل تهديم قيم مجتمعنا التى كانت دائما قادرة على أن تمدنا بالصلابة فى مواجهة الغزو والعدوان والنفوذ الأجنبى . إن هذه القيم تحقق للمجتمعات ما لا يستطيع أن يحققه القانون .

* * *

إن عليك أن لا تقرأ الكتب الرخيصة عن الجنس والقصص المترجمة والمكشوفة إلا وأنت فاهم تماما لهدفها وغرض الذين كتبوها . فهى ليست حقائق ، حتى فى مجتمعها الغربى ، وإذا صح بعضها ، فإنما يمثل طائفة من الناس ، ولا تمثل طابعا عاما لأى مجتمع إنسانى . وهناك بعد ذلك الفوارق البعيدة بين قيمنا وقيمهم ومجتمعاتنا ومجتمعاتهم ، وتختلف كل منها اختلافا جذريا عن هذه

المجتمعات .وثق أن أكثر ما تقدمه لك الأفلام والمسرحيات والروايات الأجنبية إنما تهدف إلى تسليتك فقط ، وإن بعض ما يقدم إنما هو جماع آراء مختلفة من بيئات ومدنيات ومجتمعات مختلفة ، وليست كلها حقا وليست جميعها خيرا ، والسينما فى الخارج وكل ما يتصل بها من قصة ومسرحية إنما هى عمل تجارى يستهدف الكسب بكل وسائله فهى لا تقدم إلا ما يرضى ويثير ، دون أن تقدر أثر ذلك على النفوس والقيم . وفرق بين الثقافة والتسلية ، وبين الحقائق والخيال . ولنذكر أن الاستعمار والنفوذ الأجنبى كان حريصا على أن يبث فى مجتمع الأمة العربية الانحلال والزيغ والشك والتنكر للقيم الروحية والاجتماعية .

* * *

الصمود :

ليس معنى الصبر الاستسلام والخضوع وقبول النكبة والمصيبة ، بل هو اليقين بالنصر ، والمحاولة المجددة ، فهو الصمود فى وجه العقبات بحيث لا تهولنا ولا تزلزل إرادتنا .

والإنسان بالصبر يكون قادرا على العمل ، إذا أصابه الإخفاق فلا يركن ولا يستسلم ولكن يعاود الكرة مؤمنا بنصر الله إياه ، والله يربط بين الصبر والإيمان ويدعونا إلى الربط بينهما .

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة** ﴾[1] **ولذلك فإن الصبر خلق إيجابى وقوة ورجولة** وليس خلق ضعف وعجز واستسلام .

* * *

ارفض اليأس ، ولا تقبله ، وعاود الكرة ، فليس المسلم يئوسا ، وقد قرن الله اليأس بالكفر ، فقال : ﴿ **إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون** ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة .

(٢) سورة يوسف .

ولا يتصل اليأس إلا بالنفوس الضعيفة المهزومة الفارغة من الإيمان بالله ، أما المؤمنون فإنهم دائما آملون :

﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾[1] .

* * *

اعقل الأمر وتوكل على الله ، فلا تهمل الأمر اتكالا على أن القدر يحفظه ، ولكن ارعه واحفظه وأتمه ثم توكل على الله .

لا تباشر عملا قبل الاستعداد له ، ولا تترك عملا من أعمالك اتكالا على ما سيجيء به القدر ، فالعاقل من عقل وتوكل .

* * *

اعتمد على نفسك فى كل عملك ، ولا تعتمد على غيرك من أمرك الذى يهمك فإن أحدا لن يؤديه كما تحب ، إلا أنت .

وحاول منذ وقت باكر أن تشق طريقك بنفسك ، لا تنتظر معاونة أحد ، اذهب إلى كل مكان لك فيه عمل دون أن تستعين بأحد من أهلك ، وحاول أن تكون قادرا بذلك ، على الاتصال بالناس ، ومراجعة كل أمر ، وتحقيق ما ترغب فيه وأدائه على الوجه الصحيح ، **واستعن بالله ولا تخش مواجهة الناس ما دمت على حق وخلق .**

* * *

تجويد العمل مع الإبطاء فيه ، خير من الإسراع فيه وإخراجه غير مكتمل ، وإخلاص العمل لله شرط من شروط نجاحه وفاعليته . وفى هذا يقول الرسول ﷺ : « كتب الله الإحسان على كل شيء » والإحسان هو الإتقان والتجويد .

والعجلة تفسد العمل كله وتورث الندامة ، والتروى مع التجويد أدعى إلى النجاح ، وفى هذا يقول الرسول ﷺ : « **إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، فإن المنبتَّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى** » .

---

(١) سورة آل عمران .

قيل للنبى ﷺ : أى العمل أفضل ؟

قال : « حسن الخلق ، وحسن الخلق هو أن لا تغضب إذا استطعت ، إن أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجالس يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون » .

والأساس العملى للنجاح وللشخصية القوية هو : أن تجعل للأخلاق الفاضلة حدا فاصلا تقف عنده فلا تتخطاه إلى غيره وهذا يستدعى منك أن تضحى ببعض مالك ووقتك فى سبيل الواجب ، وأن تنصف الناس من نفسك وتترك الإنصاف لنفسك من الغير .

وشرط الإيمان أن يظهر أثره فى التصرف والسلوك .

* * *

لا تقنط من رحمة الله ، فإن كنت أخطأت فإن الله غفور رحيم ، إذا أقبلت عليه بتوبة صادقة لا عودة فيها . وكل بنى آدم خطاء ، والإسلام يسر ، ومن أكبر علامات التوبة أن الله رحيم ، وأنه يدعو عباده إليه ويتقبلهم وينسى للجوارح أخطاءها .

﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾[1] .

وكن حذرا من الذين يقنطونك أو من الذين يجرونك إلى الخطأ ، ممن وقعوا فى الإثم فإن هؤلاء إنما يريدون أن يجروا غيرهم إلى مهاوى الإلحاد والرذيلة حتى لا يكونوا وحدهم فى مجال الشر ، فلا تصدق تهوينهم بالدين والخلق والإيمان ، أو بما هم فيه من خطأ ، ولا تجعلهم حجة على المفاهيم الصحيحة فهم أبعد الناس عنها .

---

(١) سورة الزُّمَر .

شروط الرجولة :

إن الرجل هو سر حياة الأمم ، ومصدر نهضاتها ، وإن تاريخ الأمم جميعا هو تاريخ من ظهر بها من الرجال النوابغ الأقوياء ، وإن قوة الأمم وضعفها إنما يقاس بخصوبتها فى إنتاج الرجال الذين تتوفر لهم شرائط الرجولة الصحيحة .

ومن هنا فعليك أن تعيش لغاية ، ولا تعش بغير غاية ، فإن الله لم يخلقك عبثا ولم يتركك سدى ، وليكن الله غايتك .

ولا تقل ما لا تفعل ، ولا يغرك أن يحسبك الناس عاملا ، ولكن عليك أن تعمل ليعلم الله صدق ذلك فإن الناس لن يغنوا عنك من الله شيئا .

أخضع أملك وعملك لرضاء الله ومثوبته .

وصفت الشخصية المسلمة فى القرآن والحديث الصحيح باليقظة ، والأخذ بالحكمة وعمل الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وإياك والدخول فيما يعتذر عنه وزن الأمور قبل أن تتصرف واجعل الخير رائدك دائما .

والفرص لا تخلقها ولكن لا تضيعها والزمن جزء من العلاج .

وعلى الإنسان أن يكون نافعا لكل من حوله : كالشجرة المظلة ، يعطى ويبذل الجهد فى سبيل إسعاد الآخرين ، وأهله أحق الناس بعطائه : « **خيركم خيركم لأهله** » .

* * *

وثق أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، ولو اجتمع الناس على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشىء كتبه الله عليك ، ولا تقل لو فعلت كذا لكان كذا ، فإن « لو » تفتح عمل الشيطان وثق أن كل مسألة لا ينبنى عليها عمل

فالخوض فيها من التكلف الذى لا نتيجة له ، إلا تضليل العقل ، وهو مما نهينا عنه شرعا .

* * *

وانتفع بقول الإمام على - كرم الله وجهه - حين يقول :

(كونوا فى الناس كالنحلة فى الطير ، ليس فى الطير شيء إلا وهو يستضعفها ، ولو يعلم الطير ما فى جوفها من البركة لم يفعلوا ذلك بها) .

* * *

إن لكل عمل أجرا . والأجر أجران : مادى فى الدنيا وروحى فى القلب والنفس ، فإذا فاتك الأجر المادى فسوف تجد لعملك فى نفسك سرورا ، أنك قدمت لأهلك ولأمتك خيرا .

إن التعليم وحده لا يكفى ، ولابد من الثقافة والمعرفة .

وكلاهما هام لأنه يعطى المضامين العامة للقضايا والمسائل ، فلا يكفى التخصص فى فرع من العلم ولكن عليك أن تلم بالأصول والمفاهيم .

* * *

تمسك بما عليه الجماعة :﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾[1] وأجروا الأحكام على الناس بالعدل : إن يكن غنيا أو فقيرا : ﴿ **ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض**﴾[2] ، **ولاتكونوا من الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا .**

وكونوا أبرارا بالوالدين والأقربين ولا تنتظروا ممن تقدموا لهم الخير ردا للجميل ، أو جزاء ، ودعوا الجزاء يصل إليكم من الله وحده .

إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا فلا تقدموا إلا خير ما عندكم . إياكم والكبر ، والكبر هو بطر الحق وغمط الناس ، ومن جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم

---

(١) سورة آل عمران .　　(٢) سورة النساء .

القيامة ، واقتصدوا فى النفقة ولا تسرفوا ، ولا تأكلوا أموال الناس بالباطل ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا .

* * *

ومن كمال الشخصية ما أوصى به الرسول ﷺ :

« اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجرى بالمقادير » .

الوازع الأخلاق :

حرم الله الكسب الحرام ، وأحل البيع وحرم الربا . ودعا إلى السعى والعمل والكسب والله يحب المؤمن المحترف : « **من أمسى كالاً من عمل يومه أمسى مغفورا له** » ، « **نعم المال الصالح للرجل الصالح** » . **وحرم السؤال والاستخذاء** ، **وجعل فى مال الغنى حقا للفقير** ، ودعا للمحافظة على المال والاعتدال فى إنفاقه : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما** ﴾ [1] ﴿ **إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين** ﴾[2]، ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** ﴾[3] ودعا إلى التقريب بين الطبقات، وجعل الزكاة حقا ، وليست صدقة ، وجعل من بعدها بابا من الخير : هو الإنفاق والصدقة .

وليكن المال فى أيدينا وليس فى قلوبنا ، ولنتحرر من رق المادة ، والتطهر من لذة الشهوات والأهواء :

« **تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة ، تعس وانتكس** » .

وعلينا أن نضبط الغريزتين : غريزة حفظ النفس وحفظ النوع وننظم مطالب الفم والفرج .

والإنسان لا يستطيع بقوته العقلية وحدها أن يضبط نفسه ، وأن يأخذها باعتدال فهو يحتاج إلى وازع أخلاق يوجهه من الداخل ويحبب إليه فعل الخير ، وينهاه عن المنكر .

---

(١) سورة النساء . (٢) سورة الإسراء . (٣) سورة الفرقان .

والدين هو أثبت قاعدة لتمية الفضيلة وأضمنها .

والمال وسيلة وليس غاية ، وطريق وليس هو الهدف .

يقول رسول الله ﷺ : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » .

ويقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الرجل راع فى بيته ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيتها وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته » .

التكوين الفطرى :

الأسرة تكوين فطرى لا يستغنى عنه النوع الإنسانى ، والرأى الذى يرى أن الأسرة ليست فطرة إنما يستهدف غير الحق وله من وراء رأيه هدف لا يخدم هذه الأمة بل يضر بها .

* * *

بين الإسلام أن الأسرة أساس اجتماعى يقوم على التعاون الروحى والعملى ، وحبب فيها ، ورغب فى تكوينها ، حتى جعل الزواج فى بعض المواقف فريضة عند خشية العنت ، ورغب فيه ترغيبا عاطفيا فجعله من آيات الله وآثار رحمته :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ . سورة الروم .

ولأجل أن تكون الأسرة حَرَّمَ الله النظرة والخلوة، والزنا حتى لا يجد الشباب أمامه محيصا عن اختيار الطريق الطبيعى : الزواج ، ضرورة المجتمعات وعمادها .

* * *

اكتمال المعرفة :

العقل وحده ليس قادرا على فهم كل شيء ، وله نطاقه المحدود فى مجال عالم المحسوسات ، أما فى مجال الغيبيات والسمعيات فإننا نؤمن بكل ما جاء من عند ربنا .

لقد علمنا الإسلام أن أسلوب المعرفة الكاملة له جناحان : جناح العقل وجناح الوجدان ، ولابد منهما معا حتى تكتمل المعرفة ، والعلم على ما وصل إليه من كشوف لم يصل حتى الآن إلا إلى مرحلة أولية هى « تفسير ظواهر الأشياء » .

أما تعليل الأشياء وتعمق مدلولاتها فإن ذلك أمر لا يزال بعيدا عن مجال العلم ، والعقل أيضا ليس قادرا إلا فى حدود ما أعطاه الله من مجال وسعة ، وللوجدان بعد ذلك مجال واسع للتصديق واليقين ولقد كرم الإسلام « العقل والعلم » ودعا إلى النظر فى الكون .

* * *

إن ما وراء الطبيعة من الحيثيات التى قررها الله تعالى ، مما لا يمكن للعقل أن يدركه ويعرف كنهه ، فإنه متقبل على أساس الدليل العقلى العلمى الذى قام على صدق الدين نفسه .

والعقول تحكم بمحدوديتها وبأن لها مجالا لا تتعداه .

القاعدة الإنسانية :

إن ذروة سنام الإسلام هو الجهاد ، وقاعدة النفس الإنسانية فى الإسلام : « من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا » وقد دعانا الإسلام إلى الثبات للعدو ، وأن لا نفر من الزحف وقال الرسول ﷺ : « لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » .

* * *

وقد صور رسول الله ﷺ موقف المسلم من الجهاد فى أحاديث كثيرة :

- « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . وفى كل خير » .
- « من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق » .
- « عينان لا تمسهما النار : عين بَكَتْ من خشية الله ، وعين حرست فى سبيل الله » .
- « ذروة سنام الإسلام الجهاد . لا يناله إلا أفضلهم » .
- « جاهدوا فى سبيل الله فإن الجهاد فى سبيل الله باب من أبواب الجنة » .
- « من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله تعالى منازل الشهداء وإن مات على فراشه » .
- « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا » .
- « من أعان مجاهدا فى سبيل الله أو غارما فى عسرته أو مكاتبا فى رقبته أظله الله يوم لا ظل إلا ظله » .
- « إنما الأعمال بالنيات . وإنما لكل امرئ ما نوى . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

ويقول عليه الصلاة والسلام :

« إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة :

صانعه الذى يحتسب فى صنعته الخير .

والذى يجهز به فى سبيل الله .

والذى يرمى به فى سبيل الله » .

الأخلاق والنبوغ :

- إن المجتمع لا يقدر النبوغ الذهنى إلا مقترنا بالأخلاق ، ولا يعترف لصاحب هذا النبوغ بقوة الشخصية إلا متى اكتمل فيه سلطان الأخلاق ، لابد لكل منا من خاصة ممتازة ، أو ملكة نادرة ، أو موهبة بارزة يجب أن نستوثق منها ونحللها ونلاحظ أغراضها ، علينا أن نبرزها ونصقلها ونهيىء لها الظروف الصالحة لنموها .

- إن أشد ما يعطل المواهب ويفسدها فساد الأخلاق ، قد يكون الرجل نابغا ثم يكون خائر النفس منهوك الأعصاب يائسا عاجزا .

فمعرفة النفس حق المعرفة ، معرفة ما فيها من مواطن النبوغ والتفوق ، على أن يقترن هذا النبوغ بالحرص على الأخلاق القومية .

- إن الشخصية القوية هى التى تنتفع بالحوادث فتوجه الظروف .

من العبث إظهار قوة الشخصية بدون أخلاق ، فالعلم وحده لا يكفى ، والتفوق الذهنى أيا كان لا يكفى وليست العبرة أن تكون نابغا بل لابد أن يقترن نبوغك بأخلاق ممتازة تؤكد قيمتك وتبرز سلطانك وتحمل الناس على الثقة المطلقة بك .

وعدد النوابغ كبير ولكن عدد النوابغ المشهورين بالخلق القوى والذين يعتمد عليهم فى ساعة العسرة قليل .

الركيزة الأساسية :

قال العلماء : إن هوادم الحياة الإنسانية تتولد فى الجسم بسبب إفراطات الشبيبة ، هذه الإفراطات يمكن تعديلها بالوعى والحماية .

فالخطأ يقوم على أساس أننا نتعاطى من المواد الغذائية ما لا نستطيع هضمه وما لا تحتمله المعدة ، هذا الإفراط يضعف الأجهزة الجسمية والعقلية أيضا فإذا اضطربت القناة الهضمية أدى ذلك إلى توليد أمراض عضالة كتصلب الشرايين نتيجة كثرة ما تسرب إليها من أملاح اللحوم والبقول ، وكالآلام الروماتيزمية

الحاصلة من ترسيب تلك الأملاح فى العضلات والمفاصل ، وكأعباء الكبد والبنكرياس والكليتين والقلب والأعصاب .

فالمحافظة على الحياة ترتكز أساسا على معرفة سر التغذية وسر التصريف ، فإذا عرف الإنسان كيف يأكل ويشرب من ناحية وكيف يتنفس من ناحية أخرى ، ثم كيف لا يتسمم ببقايا الاحتراقات ، عرف كيف يعيش أمدا طويلا .

ومما يذهب التسمم الاكتفاء بأكل الفواكه والنباتات الغضة واللبن الحامض .

* * *

ويقول الرسول ﷺ فى هذا المعنى : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .

* * *

يقول رسول الله ﷺ :

« من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة .

ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة .

ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له طريقا إلى الجنة .

وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده .

ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

[رواه مسلم]

القلب والعقل :

يجب أن تبنى نفسك جسميا وعقليا وخلقيا فترسم لك مثلا أعلى محددا وترسم خطة السير للوصول إلى الغاية .

ولا تترك نفسك كالسفينة بلا قائد تتقاذفها الأمواج . ولن تستطيع أن تفعل ذلك إلا إذا كنت ذا عقيدة .

وقد دلت التجارب على أن القلب لا العقل هو الذى يبنى الإنسان ، ويكتب تاريخه ، ويحدد مقدار نجاحه فلا خير فى عقل كبير لا قلب معه وتاريخ الإنسان يشهد بأن خدمة القلوب الكبيرة أقوى من خدمة العقول الكبيرة .

وأهم ما يدعو إليه القلب : أن تكون رجلا ، والرجولة وصف جامع لكثير من الصفات الكريمة : الجد فى العمل ، الشجاعة فى مواجهة الصعاب ، الحرص على المبادئ .

وأسوأ مظاهر عدم الرجولة : التحلل والميوعة والاستهتار . لماذا يفشل الشباب ؟ يفشل لاعتماده على الآباء والأهل ، وعدم القدرة على معاركة الحياة ، وتقدير المسئولية واحتمالها . لا فائدة من الركون إلى فلسفة الجبر وإنكار حرية الإرادة ولابد من الاضطلاع بالمسئولية .

وعلى الإنسان ألا ينطلق مع غرائزه ، ولا يلبى مطالبه الرعناء ، ومهما تسيطر الشهوة عليه فعليه أن يحترم النواهى والزواجر ، وعليه أن ينمى عقله وقلبه معا ولا ينمى أحدهما ويهمل الآخر . إن الروايات تخلق الخيال الواسع وفرسان وطواحين الهواء ، وكم من شباب اتخذوا مثلهم العليا من روايات السينما فضاعوا .

عليكم بالصدق :

يقول الرسول ﷺ : « روحوا القلوب ساعة فساعة » ، ويقول : « اجمعوا هذه القلوب والتمسوا لها طرف الحكمة فإنها تَمَلّ كما تَمَلّ الأبدان ، والنفس مؤثرة للهوى أمارة بالسوء مستوطنة للعجز ، طالبة للراحة نافرة عن العمل فإن أكرهتها أنصبتها وإن أهملتها أرديتها » .

« وعليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

* * *

وعلى المؤمن أن يضبط لسانه فى الجد والهزل وأن يحترس من الكذب فى الجليل والحقير ، وأن يتثبت فيما ينقل ويروى عن الناس .

ولقد وضع لنا رسول الله ﷺ القاعدة فى التحرر من الذنب : **بالالتجاء إلى الله ، والتماس المغفرة .**

ومن دعائه فى ذلك :

« اللهم نقنى من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس » .

« اللهم اغسلنى من الخطايا بالماء والثلج والبرد » .

« اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » .

نفسية المراهق[1] :

إن المراهق برغم إطلاقه العنان لتفكيره واستطلاعه ، يرى العالم من خلال مشاعره وتصوراته واكتساب بعض العلم بالعلوم والفنون المختلفة ، دون أن يتمثلها تمثلا كافيا ، يضع تحت تصرفه مادة يستغلها فى الجدل والمحاجة . فيتلاعب بالألفاظ الضخمة ويَكَلَّف بالصيغ والتعابير ويتشدق بالمصطلحات العلمية والفلسفية . ويتوهم المراهق أن فكره معين لا ينضب ، فى حين أن كتابته تكشف عن الضحالة والافتقار إلى وضوح الفكر ، ولذلك ما يكاد يقع على مبدأ علمى ، أو مذهب فلسفى يرضى تطلعه ونزعته إلى التحرر ، حتى يتحمس له تحمسا هو

---

(١) من بحث للدكتور عبد المنعم المليجى .

أقرب إلى التعصب منه إلى الفكر العلمى الرزين ، فإن كان يفيد من الثقافة العلمية الموضوعية ، أو الأفكار الفلسفية المتحررة فهو لا يفيد اتجاها موضوعيا ، أو منطقيا فى التفكير بل يفيد منه ما يؤيد طموحه إلى عقيدة مطلقة ورأى نهائى .

عمق الإيمان :

من أروع الصفحات التى تعطى الشباب عمق الإيمان بالله والقيم : أن الرسول ﷺ وصحابته كانوا أشد الناس حرصا على أن ينسب الأمر كله لله

انكسفت الشمس لموت إبراهيم (ابن النبى) فخرج رسول الله ﷺ عَجِلاً يجر رداءه حتى انتهى إلى المسجد فخطب الناس فقال :

« إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله » .

وقال أبو بكر بعد وفاة النبى ﷺ : (من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت) . ثم تلا الآية : ﴿ **وما محمد إلا رسول** ... ﴾ . وقال الرسول ﷺ لابنته فاطمة : « اعملى يا فاطمة فلن أغنى عنك من الله شيئا » ، وقال : « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

وقال عمر : (أصابت امرأة وأخطأ عمر) .

وقطع عمر شجرة الرضوان التى بايع النبى ﷺ تحتها المسلمون حين رأى الناس يقصدونها ويصلون تحتها .

ولما طاف عمر بالكعبة ، ووقف أمام الحجر الأسود قال : (اللهم إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك) .

وذهبت فاطمة إلى أبى بكر بعد وفاة النبى ﷺ تسأل عن أرض للنبى فى فدك : فقال عمر لفاطمة : إن الرسول قال : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة » .

وقال البخارى : (أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين ، فمن كانت له حاجة إلى شيء منه فليحضر إلى مجلسى ، أو دارى) .

وقال ابن حزم : (اعلموا أن رسول الله ﷺ لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها ، ولا اطلع أخص الناس من زوج ، أو ابنة ، أو عم ، أو صاحب على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم ، ولا كان عنده عليه السلام سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه ولو كتمهم شيئا لما بلغ كما أمر) .

من دعاء النبى ﷺ :

كان النبى عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن ينام يقول : «باسمك اللهم أموت وأحيا » .

وإذا استيقظ قال : « الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور » .

وما خرج رسول الله ﷺ من بيته قط إلا رفع صوته إلى السماء وقال : « اللهم إنى أعوذ بك من أن أَضل أو أُضل ، أو أذل ، أو أُذل ، أو أظلم ، أو أُظلم ، أو أجهل ، أو يُجهل على » .

وكان يقول : « بسم الله توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

وكان إذا ولج البيت قال : « اللهم إنى أسألك خير المولج وخير المخرج ، باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا ، وعلى الله ربنا توكلنا » .

وكان إذا أخذ مضجعه يقول : « اللهم خلقت نفسى وأنت تتوفاها ، لك مماتها ومحياها ، إن أحييتها فاحفظها ، وإن أمتها فاغفر لها ، اللهم إنى أسألك العافية » .



لأن الناس جميعا قد خلقهم الله من ذكر وأنثى وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا وبذلك ذهبت نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء .

* * *

ومن هذه الكلمات المضيئة : **مكارم الأخلاق** .

وقد استمدت هذه العبارة من حديث الرسول ﷺ :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

الفصـــل الخامـــس

الْوَقتُ هُـوَ الْحَيَـــاة

يرجع العلماء المزاج العقلى إلى أمرين : الخلق والذكاء .

والخلق هو المرجع الأعلى والأكبر أهمية ، وهو الذى يهدى العقل ويقوده . فإذا حسن الخلق أضاء للإنسان الطريق ، ووسائل إحسانه الإيمان بالله ، والتماس المثل العليا ، والعمل الدائب على مقاومة العوائق والعراقيل ، وإذا كانت العوامل الوراثية والأعراض الجسمانية قد تؤثر على الإنسان ، فإن الدين يستطيع أن يصلح من شأنها ، وأن يحرر النفس منها ، وعلى كل منا أن يلتمس قدوته فى شخصية عظيمة ، فيحبها ويحاول أن يدرس أسباب عظمتها ، ولقد كان عظماء العالم جميعا بلا استثناء فى شبابهم يتطلعون إلى الأبطال والعظماء ويحاولون أن يجعلوا منهم قدوة لهم . ولنعلم أن العظمة ليست فى جمال الخلقة ، أو الوجاهة ، أو الثراء ، وإنما تكون فى النفوس الكبيرة والعقول الذكية ، وفى التحرر من الرذيلة ، أو الاستعلاء على عبودية الأهواء والللذات .

وأساس عظمة الشخصية : الإيمان بالله وأداء الواجب وحب الناس جميعا وإيثارهم على النفس .

وعلى الشباب أن يضع نصب عينيه هدفا كبيرا ، أن يكون شخصية قوية ، ذات أثر فى مجتمعها ، وأن يسعى إلى هذا الهدف بالحق والجهد والعمل ، وليس بالطنطنة والأساليب الدعائية البراقة ، فإن كل باطل لابد أن ينكشف ، وكل ضلال لابد أن ينطوى ، والعمل النافع وحده هو الذى يثبت ، والبطولة القائمة على العمل الحقيقى فى ميدانها هى التى تبقى .

لا تدع الوراثيات ولا البيئات الضارة تسيطر عليك وعليك أن تتحرر منها .

وعليك أن تكون حسن السمت فى اللباس وفى الكلام ، وفى التصرف ولتتحمل المسئولية دون خوف ، وتؤمن بأن كل عمل له جزاء ، وفى مدى تقديرك للمسئولية يظهر مدى صلابة شخصيتك وقدرتك على العمل والثبات .

لا تتسكع ولا تضيع وقتك ، اجعله مليئا بأى شىء ، بالعمل تارة ، فإذا ضقت به فاخرج إلى الهواء الطلق ، وجدد حياتك بالمرح والدعابة والفكاهة والحديث الطلى والبادرة الحلوة والنادرة البعيدة عن الأذى .

والقراءة من أجمل وسائل إزجاء الفراغ وتخير قراءتك حتى قراءة اللهو والمتعة ، اجعلها راقية عفة .

على كل منا أن يعرف مركب النقص فيه ومنه ينطلق إلى النجاح ، إن كل واحد منا فيه نقص ما ، وهذا النقص ليس عيبا فى الشخصية ، وإنما هو وسيلة إلى القوة والعمل النافع فليكن بديل النقص : التسامى وقوة الشخصية والقدرة على تجاوز العقبات ، إن التفوق لا يظهر إلا فى مجال التحدى . بالنقص فى الأسرة ، أو فى الشخصية .

إن النقص هو الحافز الأكبر لكل العظماء والنوابغ .

إذا بلغت الشباب فاعرف أنك قد أصبحت رجلا فلا تتصرف تصرف الأطفال ، ولا تعتمد على دعابات الطفولة ، وانزع نفسك من تدليل الآباء والأمهات ، واعتمد على نفسك واعلم أن أمامك طريقا طويلا شاقا ومعك على الطريق رفاق فإذا تراخيت فسوف تتخلف ويسبقك الآخرون ، فإذا لم تجد ما تحبه فى بيئتك فلا تيأس .

اقبل ما تجد ، وغيرهْ مع الزمن .

لا تتطلع إلى ما فى أيدى الغير ، ولا تدخل فى تجربة مع العادات السيئة ، فإن المرة الأولى هى أخطر المرات .

ثق أن أكبر عوامل النجاح عندما ترى نفسك تنتقل من تحقيق الرغبات الشخصية إلى تحقيق رغبات الآخرين .

اللباس البسيط النظيف خير من الأنيق المسرف .

نم شخصيتك دوما وتقدم واحمل دائما الإحساس بأنك تزداد مع الأيام قوة .

إياك ومسالك التهم :

احترم حقك وقدس حق غيرك .

واطلب المجد عن طريق الصدق والعدل .

وإياك ومسالك التهم ، واعمل على إرضاء ربك ، ومتى أرضيت ربك فقد أرضيت الإنسانية جمعاء .

وازن بين قواك الثلاثة : العقل والنفس والبدن ، وثقفها جميعا العقل بالعلم والنفس بالدين والبدن بالرياضة .

فإذا أهملت إحداها ، فقدت التوازن فى حياتك .

إن الحياة بالروحانيات فقط تفقدنا قوة المناعة ، والحياة بالماديات وحدها تجعل الدنيا جحيما .

وهما معا يمتزجان فى يسر واعتدال .

اعلم أن بناء مجدك هو جزء من بناء مجد وطنك والعكس صحيح ، لا تطلب المجد الزائف ، بل اقصد المجد الحق المبنى على الصدق والعدل ، المجد القائم على الاستحقاق . وثق أنه بقدر ما تقدم من حسنات لنفسك ولوطنك تلقى الجزاء الحسن على ما قدمت .

* * *

إذا وجدت المثل الأعلى الذى تقصد إليه غامضا غير محدود فحاول أن توضحه وتتكشفه حتى يبدو جليا .

لا تجعل المال هو الغاية ولا تجعل الشهرة هى الهدف .

ولكن اجعل غايتك العمل النافع الخالص .

سيأتى المال فى المراحل القادمة بسخاء ، وستأتى الشهرة .

ولا تقبل من المال إلا ما كان حلالا ، وليكن وصولك إليه من طريق صحيح وبجهد مبذول ، وإلا فإنه يذهب بددا ولا يبقى .

وإذا واجهتك الصعوبات فلا تتراجع ، جدد ثقتك بالله ، وامض إلى الأمام وستنتصر فى المرة التالية .

لا تجعل العاطفة تتحكم فيك . لا تطلب الخيال ولا تتوسع فى الأحلام . التدين والإيمان يحل المشاكل ، ويخفف الصعاب ، ويعطى الشخصية الرباحة والسماحة والتفاؤل .

عليك أن تجعل سريرتك كعلانيتك .

* * *

العادات المؤذية تعوق النجاح ، وتستهلك الصحة والوقت والمال . كن الشخصية الصريحة القادرة على أن تقول كل شىء فى ذوق ومن غير أن تحرج ، وفى صراحة مع استعلاء على العبارة المرذولة ، وكن قادرا على التلاؤم مع البيئة والعمل .

لا تقل لأحد : إنه مخطئ ، وإذا أخطأت فسارع إلى الاعتراف بخطئك .

احرص على وجهة نظر الآخرين .

* * *

الناجح يبتسم ولا يقطب ، عباراته كريمة ، منتقاة .

إذا غضب فسرعان ما يعود إلى الرضا والصفح .

* * *

لا تتشاءم من كلمات قيلت ، أو روايات لا أساس لها . دع عنك الخوف من الأيام .

من توجيهات القـــرآن

﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق ، كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب ، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة ، أولئك لهم عقبى الدار ﴾[1] .

الترويض والتزكية :

إن النفس الإنسانية لا تخلق كاملة وإنما تكمل بالترويض والتزكية ، كالبدن لا يخلق كاملا وإنما يكمل بالنشوء والتربية .

والأخلاق المجموعة يستطيع كل الناس أن يصلوا إليها وإن لم تكن أساسا فى بيئاتهم بالتدرب والرياضة والاعتياد والألفة .

وذلك عن طريق : القدوة ، والمثل الأعلى والرفيق الصالح .

* * *

الأخلاق لا تقتصر على الابتعاد عن الشر والسوء فحسب بل تقتضى الاندفاع إلى الخير والعمل النافع ، بدافع قوامه الإيمان بها والإرادة لها .

والحرية الحقيقية هى الحرية ضمن دائرة النظام .

وقمة الأخلاق تفضيل التضحية على الأنانية ، والجماعية على الفردية .

إن الضمير هو أفضل دافع إلى العمل النافع ، وهو فى أعماق كل منا يهديه إليه ذكاؤه وإيمانه . وهو الذى يردع الإنسان عن الشر ، ويحفظ له شعور الكرامة فيتسامى عن الأفعال الدنيئة .

* * *

---

(١) سورة الرعد .

علينا أن لا نغالى فى الاتجاه نحو التفاؤل ، أو التشاؤم ؛ فالتشاؤم يصدر عن ضعف الثقة فى النفس ، والمبالغة فى الخوف من الفشل ، فعلينا أن نتجاوزه إلى التفاؤل ، ويجب ألا نغالى فى التفاؤل أيضا . وعلينا أن نكون على ثقة بالله فلا نخاف المستقبل ولا نرهبه .

وعلينا أن ندرب أنفسنا على خلق أهداف بديلة لأهدافنا الحالية إذا عجزنا عن تحقيقها . كما يجب علينا أن نكون مطبوعين على المرونة ، وأن نتنازل عن بعض الأهداف ، إذا أيقنا أنها غير ممكنة التنفيذ ، أو نكون قادرين على تغيير الخطط فى سبيل الوصول إلى غاياتنا .

* * *

وعلينا أن نثق بأن الإنسان حر فى اختياره حرية كاملة وأنه مجزى على قدر مسئوليته عن كل فعل يفعله .

والقول بأن القدر هو الأمر اللازم المحتوم الذى قضاه الله على الإنسان باتباع طريق الخير ، أو اتباع طريق الشر قول لم يؤيده القرآن وعلم الله بأمر من الأمور لا يعنى أنه تدخل فى اختيار الإنسان لفعله .

* * *

النجاح استعداد وعمل وإرادة ، ومعونة من الله .

وإن العطاء دائما على قدر العزيمة ، كما قال عمر بن الخطاب .

* * *

من وصايا الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان

زر من يزورك ومن لا يزورك .

وأحسن إلى من يحسن إليك ويسيء .

وتغافل عما لا يعنيك واترك كل من يؤذيك .

ومن مرض من إخوانك فعده بنفسك .

ومن قعد منهم عنك فلا تقعد أنت عنه .

وصل من جفاك ، واعف عمن أساء إليك .

ومن تكلم فيك بالقبيح فتكلم فيه بالجميل .

ومن استعانك فأعنه ، ومن استنهضك فانهض له ، ومن استنصرك فانصره ، وتغافل عن زلات إخوانك ، واقض حوائجهم ، وأرفق بهم وسامحهم ، ولا تبد لأحد منهم ضيق صدر ولا ضجر ، وعامل الناس معاملتك لنفسك ، وارض منهم ما ترضاه لنفسك ، واستعن على نفسك بالصيانة لها واستمع لمن لم يسمع منك ولا تكلف الناس ما لا يكلفونك وإياك والغدر وإن غدر بك ، وأد الأمانة وإن خانوك .

تحصنوا بالحذر واليقظة :

قال أرنست رينان : فى عقيدتى أنه لا نجاح للمسلمين اليوم إلا باتباع نفس السبيل التى سلكها محمد ﷺ وصحبه .

وقال المهندس أحمد عبده الشرباصى : إن من أخوف ما يخافه الاستعمار هو بعث الأمة عن طريق الدين .

ومن أهم المهام التى تواجه الأمة كلها أن يعرف أن هناك عدوا خطيرا لا يتوقف عن القاء السموم والدعايات المغرضة فلنتحصن بالحذر والحيطة واليقظة ، ولنكن قادرين على فهم هذه الشبهات ، والشك فيها ودحضها ، نعم ، نحن نواجه الآن من عدونا حربا نفسية تهدف إلى تشكيك أمتنا فى الصمود والمقاومة ، وتحطيم وجودها ، وعلى الكتاب مسئولية تنوير الشباب وحمايته من هذه الأخطار .

فإذا سأل سائل : من أين نبدأ ؟

نقول : أبدأ من القرآن ، وسيرة الرسول وحديثه .

فهذه هى الأرضية الحقيقية لفكرنا وثقافتنا .

والقراءة شيء ضرورى فى حياة كل مثقف ومتطلع إلى أن يكون إنسانا سويا وشخصية بارزة ، هى شيء ضرورى كالماء والهواء .

إن الفكرة هى الأساس : فلنجعل الأفكار الصحيحة والموضوعات الحية تملأ النفس والعقل وتغذى القلب والذهن معا .

والقرآن هو أول كتاب كشف عن النواميس الطبيعية والقوانين الثابتة للكون والمجتمع ، والإسلام هو الذى صاغ الفكر الإنسانى من جديد فقبل كل ما فى الفلسفات الهندية والفارسية واليونانية التى كانت فى أول ظهوره ، قبل كل ما فيها من خير ، ونفى كل ما يتعارض منها مع الحق والعدل والتوحيد .

وأطلق الإسلام العقل الإنسانى من قيوده التى كانت تأسره حول المعابد وبين أيدى الكهنة فارتفع إلى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة .

وربط الإسلام بين العلم والعمل .

وأعلن أن العقل وحده عاجز عن الوصول إلى كل الحقائق .

وأن هناك حقائق سمعية وغيبية نؤمن بها ما دمنا نؤمن بالإسلام والقرآن وبأنهما من عند الله .

ورفض الإسلام التقليد والتبعية : سواء للماضى أو للوافد جميعا ، والإسلام هو الذى ربط بين العقائد والمعاملات والأخلاق فى إطار واحد ، وربط بين ما هو دنيوى وأخروى ، وبين ما هو روحى ومادى . حيث لا انفصال بين الدين والحياة ، أو بين الجسم والروح . وليس فى الإسلام خطيئة أصلية يحاسب عنها كل الناس ولكن هناك قاعدة أساسية : ﴿ **كل امرئ بما كسب رهين** ﴾ سورة الطور .

والإسلام كرم كل الأديان وكرم كل الأنبياء .

وقد هاجم الإسلام كل الخرافات والكهانة والسحر وأنكر العرافين والكهان ، وطارد الأوهام والمعتقدات الباطلة وأنكر ادعاء علم الغيب واعتبر السحر كفرا .

وقال الرسول ﷺ : « إن الله خلق الداء وخلق الدواء فإذا تداويت قلت : أذهب الباس رب الناس ، اشف وأنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك » .

ولكن عليك أن تتداوى (بالعمل) وأن تدعو (للإيمان) .

وكان رسول الله ﷺ شديد النكير على من يستنبىء الغيب . فقال :

« من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل صلاته أربعين يوما » وتلك دعوة إلى القوة والإيجابية والبعد عن الضعف النفسى والجرى وراء الأوهام والأضاليل .

وفى غيبة الثقافة توجد الخرافة .

وفى غيبة الإيمان يعبد الصنم .

إرادة وخلق :

إن النجاح ليس حظا يساق إلى الإنسان ولكنه استعداد وعمل ، وإرادة وخلق . قوة الخلق هى العامل الأول . هى عامل الاستمرار ، إن « الكفاية » أحيانا تكون هى المثابرة والدأب والصبر وعدم اليأس .

* * *

ليس المطلوب هو الوصول إلى الذروة فهذه لا يصل إليها إلا القليل ، ثم لا يصمد للبقاء بها إلا أقل القليل ، ولكن العبرة بالتوسط حيث يكون الإنسان فى موضع الاعتدال ، لا هو فى الحضيض الضائع بظلمته ، ولا فى القمة الباردة بعواصفها .

* * *

هناك فرق بين المداراة والمداهنة :

المداراة : خلق يلقى صاحبه الناس لقاء كريما .

أما **المداهنة** فهى الرضى بما يصدر عن الظالم من عمل مكروه .

المستقبل ليس نتيجة للحاضر وإنما إتمام له ، ولذلك فهو لا ينفصل عنه ولا ينقطع . إن الحاضر قد انبثق من الماضى والمستقبل ينبثق من الحاضر .

* * *

هناك فرق بين العظمة والشهرة ، فالشهرة غلاف براق يصدر بحكم عصر واحد ، ولكن العظمة عمل خالد تعترف به كل العصور والأزمنة ، والوصول إلى الشهرة سهل ، ولكن الوصول إلى العظمة صعب .

الشهرة تخدم صاحبها والعظمة تخدم الأمة والمجتمع .

فحاول أن تكون عظيما ، وإن لم تكن مشهورا .

* * *

لا تقل : هذا حسن لأن الدين أمر به ، بل قل : إن الدين أمر به ، لأنه حسن ، وهو حسن ، لأن العقل يراه حسنا .

* * *

لم يفسر الفكر الإسلامى العربى « الشجرة » بأنها خطيئة الجنس ، إن الخطيئة الكبرى عند الله هى المعصية فى حد ذاتها وإن الجنس ليس بطبيعته ذنبا ، ولكن الذنب الأكبر هو العدوان على حدود الله فيه .

* * *

والإنسان ثابت الجوهر متغير الصورة .

وقد أعطى الإسلام للإنسان قواعد ثابتة للجانب الثابت ، وأعطى مبادئ عامة وترك لكل جيل وبيئة أن تضع التفسيرات المناسبة فى إطار هذه الأصول العامة .

والإنسان روح وعقل ونفس وجسد .

والتفسيرات الجديدة تفسر الإنسان من جانب واحد من جوانبه ، هو جانب الجسد وضروراته ، وهذا اتجاه خاطىء ؛ لأن النظرة غير مستكملة ، وتهمل جوانب كثيرة من كيان الإنسان .

وليس الإنسان قاصرا على الجنس والطعام كما تحاول هذه النظريات أن تصوره ولكن له جوانب أخرى إذا لم تنم حدث ذلك الصراع النفسى العميق بين الروح والمادة :

﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾[1] .

كيف يزكيها : يزكيها بالفكر والإيمان حتى يتسامى إلى المثل الأعلى ويصل إلى اليقين .

---

(١) سورة الشمس .

المرآة الصافية :

يدعون الحق تبارك وتعالى إلى أمر جليل : هو الفكر :

﴿قل إنما أعظكم بواحدة: أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا﴾(١)

هذه دعوة إلى تحرير العقل ، وفهم الحياة والنظر فى الكون ، وإعطاء العقل حقه كاملا فى طلب الدليل المقنع والبرهان الصحيح .

* * *

والقرآن يهدينا إلى أشياء كثيرة ، فيحل لنا كل معضلة ، وفيه لكل قضية حل ، ولكل مسألة هدى وتوجيه .

والقرآن هو الذى وحد المسلمين والعرب ، وأحدث التغيير الجذرى فى حياتهم ، وخرج بهم من نطاق القبيلة ، وحررهم من الرق ، ووحدهم ، وأعزهم ، وهو أساس وحدة الفكر .

* * *

ومعرفة الله هى عصا التحويل التى تنقل الفرد من حال إلى حال ، وحسن الاعتماد عليه وحده هو أظهر علامات الإيمان الصادق .

* * *

فيما رواه أبو نعيم من حديث ابن مسعود : أن رسول الله ﷺ قال : « ما أتى الله عالما علما إلا أخذ عليه الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه » .

* * *

ويقول الرسول ﷺ : « العلم خزائن ومفتاحها السؤال » .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة » .

---

(١) سورة سبأ .

ويقول النبى الكريم : « إن لكل شيء حقيقة ، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه » .

* * *

ويقول ﷺ : « إن الله تعالى جواد يحب الجود ويحب معالى الأخلاق ويكره سفسافها » .

ويقول ﷺ : « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أحسابكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

* * *

ويقول ﷺ : « إن الله كتب الحسنات والسيئات فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإذا هو هم بها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله عليه سيئة واحدة » .

[رواه مسلم والنسائى عن ابن عباس]

كياننا الاجتماعى :

طلب العلم فريضة ، ومداد العلماء يوزن بدم الشهداء يوم القيامة .

والحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها فهو أحق الناس بها .

* * *

الدين أصل من أصول كياننا الاجتماعى ، والإسلام دين ونظام مجتمع ، ولغة الأمة وتاريخها وقيمها هى بمثابة الناموس للجسم الحى .

* * *

كل حضارة لا ترتكز على الخير والفضيلة : حضارة زائفة .

وفترة الضعف التى مرت بالعالم الإسلامى والفكر الإسلامى لا تمثل حقيقة جوهره ، ولا تمثل مفاهيم الإسلام ولا يعتد بها فى الحكم على أصول الإسلام .

يقول إقبال : لا خطأ فى الإسلام وإنما الخطأ كله فى طريقة أسلافنا .

علينا أن نفرق بين المعارف الجوهرية والمعارف غير الجوهرية التى ليس لها قيمة إلا أن تكون من شئون الترف والزينة .

وعلينا أن نثق بأن بين الماضى والمستقبل صلة لا تنقطع ووحدة لا تنفصم وليس معنى هذا أننا نستسلم إلى الماضى وليس تقديرنا لتراثنا وتاريخنا هو محاولة للوقوف دون التطور والتجدد والتقدم ، بل إننا نجعل من تراثنا ضوءا كاشفا لمستقبلنا يهدينا بالتجربة ويمدنا بالزاد .

* * *

إن ميزة القيم الأساسية للإسلام والثقاة العربية أنها ثابتة الجذور متطورة الفروع ، قادرة على الحياة ، تعطى من (الثبات) ما يحقق الطمأنينة الروحية ، وتعطى فى نفس الوقت القدرة على الحركة مع الزمن .

* * *

علينا أن نعمل على الربط بين روح الأمة وروح العصر .

ولكل أمة أسلوبها الخاص فى الحياة ، ونظرتها الخاصة إلى المسائل الأساسية .

كلما اتسعت مسافة الخلف بين العقل والروح ، ظهر الاضطراب والقلق وكلما ضاقت هذه المسافة ظهرت الطمأنينة والاستقرار .

* * *

الخطر الداهم :

أخطر ما تتعرض له الشخصية الإنسانية المسلمة هى :

الإلحاد ، الإباحة ، الأثرة .

وعلينا تطهير العقول من الخرافات والأوهام ، فإن هناك مفاهيم كثيرة نحن فى حاجة إلى تصحيحها كى يستقيم لنا الفهم والقدرة على التوجه فى مجال الحياة .

إن أبرز ما دعانا إليه الإسلام :

● اليقظة والقدرة الدائمة على الفهم والعلم ، ولذلك فقد نعى على الغافلين الذين يقتصرون على الموروثات القديمة بالتقليد ، أو الذين يقفون عند جوانب معينة دون الفهم الكامل للإسلام : دين وعقيدة ودعوة إلى العمل وتربية للضمير والخلق .

● أن نتبع المعرفة الكاملة بالتطبيق فلا يكفى أن يكون المسلم عارفا بالعبادات ، أو المعاملات ، أو الأخلاق ، بل عليه أن يتبع العلم بالعمل ، وإن أى علم يعلمه المسلم ولا يجعله سبيلا إلى عمل فهو علم ناقص ، لا قيمة له ، فإذا علمت أن الصلاة من أصول الدين فعلىَّ أن أؤديها وكذلك الزكاة .

● أن نكون قادرين دائما على الحياة فى مستوى الحضارة والعلم والتطور ، فلا نجمد ولا نتوقف ، ونجدد دائما ثقافتنا وعلمنا متابعين كل تطور مؤمنين بأن الإسلام منفسح الجنبات لتقبل كل جديد من فكر وحضارة فى إطاره الشامل دون أن يتخلى عن قيمه الأساسية .

● علينا دائما أن نفرق بين الأصول والفروع ، فالأصول فى العقائد والمعاملات لها صفة الثبات والاستمرار ، أما الفروع ففيها مجال الاجتهاد والتغيير حسب حاجة الناس وظروف البيئة والزمن .

● القرآن هو النص الموثق الكامل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو أساس الإسلام والسنة المطهرة الصحيحة ، وهو تفسير وتطبيق . فالنص القرآنى أصبح واقعا حيا فى حياة الرسول ﷺ وصحابته . وكل ما سوى القرآن والحديث الصحيح قابل للأخذ والرد ، فالمذاهب المختلفة فى الفقه والتاريخ والفلسفة والنظريات هى وجهات نظر مصدرها عقول الفلاسفة والنوابغ ، وهدفها تحقيق سعادة المجتمع ، وهى مقبولة ما دامت تتحرك فى إطار الإسلام وقد تصلح لعصر دون عصر وأمة دون أمة .

● أعظم ما أعطى الإسلام جماع العنصرين اللذين يتكون منهما الإنسان نفسه : العقل والوجدان ، النفس والجسد ، الروح والمادة ، والإسلام دين

وحضارة وفكر ، والأخلاق مرتبطة بالدين ، ليست منفصلة عنه ، والدين جزء من المجتمع لا ينفصل عنه ، ولا خلاف فى الإسلام بين الدين والعلم ولا بين القومية والدين ، وكل مصادر النظرات الحديثة فى الديمقراطية والحرية والقومية والاشتراكية موجودة فى الإسلام .

● أعطى الإسلام حلولا لكل قضايا العصر الكبرى : التفرقة العنصرية والعدل الاجتماعى ، والديمقراطية والحرية والمساواة والوحدة .

● أداة الحيوية والحركة والتجدد والإصلاح والملاءمة مع العصور والبيئات فى الإسلام تتمثل فى عمل واضح هو « الاجتهاد » الذى لا يغلق بابه أبدا ، والذى هو علامة قدرة الإسلام على التجدد الدائم والتفتح الدائم على الحضارات العالمية والثقافات الإنسانية يأخذ منها ما يتفق مع طابعه وشخصيته وما يزيد كيانه قوة وحيوية .

أبعاد الثقافة العربية والفكر الإسـلامى

للبحث فى المعرفة وتفهم أبعاد الثقافة العربية والفكر الإسلامى وروابطه بالفكر الإنسانى والثقافات العالمية مقدمات :

المقدمة الأولى :

● الدين والإسلام : وهل هما كلمتان بمعنى واحد . وهل الإسلام دين فحسب . الحق أن الإسلام فطرة فى النفوس لا يستغنى عنها . وهى ضرورة فى المجتمع لا سبيل إلى تجاوزها . فقد فطرت النفس الإنسانية على أن تدين بالولاء للإله الحق والخالق المبدع خالق الأكوان .

هذا الذى وصفه العلماء والفقهاء والصوفية بعشرات الأوصاف وسموه بعشرات الأسماء ، ثم إن الدين بعد ذلك يجرى على ألسنة الباحثين على أنه « العبادة » وبعضهم يجعله قاصرا على العلاقة بين الإنسان وربه ، ويسمونه فى بعض الفلسفات (اللاهوت) .

أما الإسلام فالحق أنه دين ومنهج حياة ونظام مجتمع :

فالدين ينظم العلاقة بين الله والإنسان ، ولكن الإسلام لا يقف عند هذا الحد بل إنه ينظم أيضا العلاقة بين الإنسان والإنسان ، وينظم العلاقة بين الإنسان والمجتمع .

ويجمع الإسلام فى ذلك بين العلاقات الثلاث فإذا وصف أى دين بأنه علاقة بين الله والإنسان ، فإن الإسلام يوصف بأنه « نظام شامل كامل » بين الإنسان والله ، وبين الإنسان والجماعة ، إنه جماع متكامل للفردية والجماعية معا ، هذه حقيقة أساسية فى مقدمة المعارف العامة .

المقدمة الثانية :

إن الإسلام يجمع بين عناصر ثلاث :

العقيدة – الشريعة – الأخلاق :

فالعقيدة هى الاعتقاد بالله الواحد ومن هنا أطلق على الإسلام عقيدة التوحيد .

أما **الشريعة** فتجمع بين العبادات والمعاملات .

أما **العبادات** فهى كل ما يتعلق بما أوجبه الله على عباده من صلاة وصيام وزكاة وحج ، أما المعاملات فهى ما يطلق عليه التشريع ، أو الفقه ، أو القانون الخاص بالعلاقات بين الناس ، وذلك فى نطاق الاجتماع والاقتصاد والسياسة والعلاقات الدولية وعلاقات الحرب والسلام وغيرها .

أما الشطر الثالث من مفهوم الإسلام وعناصره فهو **الأخلاق** .

● **والأخلاق** فى الإسلام مصدرها القرآن نفسه ، وليست مستمدة من أى فلسفة أخرى ، وهى قاسم مشترك على مختلف جوانب الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية وغيرها ، وطابع من طوابعها ، وهى الرقيب القائم على النفس الإنسانية بالحق والضمير لإقامة العدل وعدم الاعتداء ، والاعتدال وعدم الانحراف ، وهى الساعد الأيمن للقانون المنظم لعلاقات المجتمع .

المقدمة الثالثة :

لقد رسم الإسلام نظاما اجتماعيا كاملا فى الميادين الثلاثة ، وأقام قاعدة عريضة ثابتة وأدار فوقها نظاما مفتوحا قابلا للتطور والتغيير حسب حاجات البيئات والجماعات والعصور المختلفة **فالإسلام يحمل عنصرى الثبات والتطور معا** .

ونظام المجتمع الذى يرسمه الإسلام نظام ملىء بالرحمة والتسامح والتفتح ، قادر على الحركة ، ومواجهة مختلف الحضارات والتغيرات ويلزم أن تدور حركة التطور فى نطاقه ، ووفق قواعده الأساسية القائمة على التوحيد والإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر .

المقدمة الرابعة :

ضم الفكر الإسلامى ألوانا مختلفة من الفرق والمذاهب منها :

المعتزلة ، والخوارج ، والشيعة ، والسنة ، والصوفية .

فما موقف الإسلام من هذه المناهج الفكرية وهذه الفرق المتعددة ؟

الحق أن الإسلام متقبل لكل النظريات والدراسات والأبحاث التى تجرى فى نطاق قيمه الأساسية والتى لا تخرج عن قاعدة التوحيد والإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر .

والتى تقف عند منطق القرآن ومنهج السنة الصحيحة .

هذه هى الأصول التى لا يجوز فيها الخلاف .

وكل خلاف في غير هذه القيم الإنسانية فهو « اجتهاد » وللمجتهد أجران إذا أصاب وأجر إذا أخطأ .

ومفهوم الإسلام التكامل : وقد كان المعتزلة دعاة عقل فحسب ، والصوفية دعاة وجدان فحسب ، وحقيقة الإسلام تقضى بأن يلتقى الجناحان ويكمل كل منهما الآخر .

وفى مجال الفقه ظهرت مذاهب متعددة قوام بعضها النص وقوام أخرى الرأى ، أو ما يسمونه بـ « المعقول والمنقول » **والإسلام يجمع بين النص والرأى ، والمعقول والمنقول .**

وتصوف الإسلام هو ما يجده المسلمون فى سلوك رسول الله ﷺ وشمائله ، وليس هو التصوف الفلسفى المتصل بالمذاهب الهندية واليونانية والفارسية القديمة ، والإسلام يرى الجمع بين الشريعة والحقيقة ولا يفرق بينهما .

الشخصية الإنسانية :

الطموح : علامة من علامات القوة فى الشخصية الإنسانية .

ولكن له وسائله الحقة ، ليس الطموح هو التمنى ، وليس هو التماس حق الغير ، بالزلفى والنفاق ، ولكن بالجد والعمل والصمود ، إيمانا بالله وإيمانا بأن العمل النافع من درس عميق ، أو تحسين سلعة ، أو الكشف عن عقار نافع للإنسانية ، أو إضافة فى مجال الفكر ، أو الثقافة ، لابد أن تتحقق النتيجة المرجوة ، ولو جهل الناس صاحبها ولو أغفلوه ، إنه لا يصح إلا الصحيح ولا يبقى إلا الأبقى :

﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض﴾[1] .

والتكامل : من أبرز أصول الشخصية الإسلامية .

ولعل أسوأ ما فرضه النفوذ الاستعمارى على المسلمين هو صرفهم عن النظرة الكاملة ، وإغراؤهم بالنظرة الجزئية ، فإذا عرض أمر أخذ منفصلا عن أرضيته وظروفه وعن تاريخه القديم ، وعن العوامل الدافعة له ، ومن هنا تظل النظرة قاصرة ، ويظل العلاج عاجزا عن تحقيق شىء ما ، **فإذا عرض لنا قضية مثلا كقضية فلسطين فعلينا ألا ننظر إليها مثلا فى حدود الموقف بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ .**

ولكن علينا أن ننظر نظرة شاملة هى كيف قامت إسرائيل وما هى أهداف الصهيونية ، وما هى العلاقة بين الصهيونية والاستعمار العالمى ومطامع الغرب فى العالم الإسلامى ؟

وأبرز معانى التكامل : التكامل بين نظرة العقل ونظرة القلب ، وبين المادية والروحية .

الأخوة الإسلامية :

دعانا الإسلام إلى الأخوة وحرض عليها ، وساق لها رسول الله ﷺ أحاديث عديدة :

- « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

١ - سورة الرعد

● « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

● « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون لجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى » .

● « انصر أخاك ظالما ، أو مظلوما ، قيل : كيف أنصره ظالما ؟ قال : تحجزه وترده عن الظلم فإن ذلك نصره » .

● « أى عبد زار أخا له فى الله نودى أن طبت وطابت لك الجنة ، ويقول الله عز وجل : عبدى زارنى ، على قراه الجنة ، ولن أرضى لعبدى بقرى دون الجنة » .

● « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

● « ثلاث يصفين لك ود أخيك : تسلم عليه إذا لقيته ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء إليه » .

● « زار رجل أخا له فى قرية ، فأرصد الله له ملكا على مدرجته ، فقال : أين تريد ؟ قال : أخا لى فى هذه القرية . فقال : هل له عليك من نعمة تراها ؟ قال : لا . إلا أنى أحبه فى الله . قال : فإنى رسول الله إليك بأن الله أحبك كما أحببته » . [رواه الشيخان]

● « سبعة يظلهم الله فى ظله ، يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى طاعة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، إذا خرج منه فإنما ليعود إليه ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وافترقا عليه ، ورجل ذكر الله فى خلوة ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .

● « الغيبة ذكرك أخاك بما يكره . قال رجل : أرأيت إن كان فى أخى ما أقول ، قال : إن كان فى أخيك ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد قذفته » . [الإمام أحمد عن أبى هريرة]

● « لو أن عبدين تحابا فى الله ، واحدا فى المشرق وآخر فى المغرب ، لجمع الله تعالى بينهما يوم القيامة ، يقول هذا الذى كنت تحبه فى » .

● « من نظر إلى أخيه نظرة ود غفر الله له » .

● « ما أهدى المرء المسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدى ، أو يرده بها عن ردى » .

● « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته . ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » .

الإسلام والمرأة :

لقد أعطى الإسلام للفتاة المسلمة والمرأة المسلمة منذ بزغ فجره حرية وكرامة ومساواة لم تمنحها لها أى حضارة ، أو شريعة سابقة عليه ، فجعل لها حق الامتلاك والبيع والتصرف ، تصرفا مستقلا عن الرجل ، وجعل لها حق العلم فريضة وأتاح لها أن تعمل ، وأن تلى من المناصب فى مجال العلم والتربية والتطبيب ما تشاء .

● **غير أن الإسلام** أحاط ذلك كله بقيم أساسية عامة فى مجال الأخلاق والدين تجرى من خلالها حركة المرأة ، فى قدر كبير من التحوط لها والمحافظة عليها ، ورفعها إلى مجال الكرامة والكمال حماية لها من ذوى الأغراض والأهواء .

● **وأبرز ما أوصى به الإسلام** ودعا إليه المرأة : هو المحافظة على ذاتها ، وأن لا تعرض نفسها لغير من هو أحق بها ، وهو الزوج ، والكرامة فى إبداء الزينة لهذا الرجل المصاحب فى الحياة وحق الشرع ، فليس لغيره أن يطلع على ذات المرأة أو جمالها .

أما بالنسبة للناس جميعا فإن كرامتها تقتضيها أن تواجههم فى ملابس لا تشف ولا تكشف ولا تعرى ، إيمانها بأنها ليست أداة من أدوات الزينة أو المتعة لكل الناس .

وليست معرضا للأزياء ، أو مصدرا من مصادر الترف لكل ناظر ، وهكذا حفظ لها الإسلام كرامتها فى مواجهة الناس فهى حيث تلقاهم تلقاهم فى سمت كريم ، ولغة واضحة ، ومشاركة فى العمل قوامها العقل والفهم والذوق ، وليس قوامها الإغراء بالملبس المكشوف ، أو الكلمة الرضية .

● **ومن حق المرأة أن تتزين زينتين** : زينة العمل والشارع وهى زينة تبدو فيها مثلا كريما فى النظافة والأناقة ، بعيدا عن قصد إعطاء الفتنة أو تلقيها ، ولها زينة أخرى فى بيتها ومع زوجها ، تكون فيها حرة كل الحرية فهذا وحده هو المجال الذى تعطى فيه ما تشاء للإنسان الوحيد الذى من حقه العطاء والأخذ حلالا طيبا .

● **ومن حق المرأة أن تعرف حق ربها عليها ، وحق زوجها ، وحق أهلها** فتؤدى هذه الحقوق بالصلاة ، والصدقة ، والسؤال والزيارة .

ومن حق المرأة أن تثقف نفسها ثقافة نسوية خاصة ، وثقافة علمية هامة ، فلها مجال فى الثقافة بالإضافة إلى المجال العام ، يكشف لها عن دورها فى بناء الأسرة وتربية الطفل ورعاية الزوج ، والقيام على مختلف الشئون المنزلية أداء أو إشرافا على من يؤديها .

● **ومن حيث ما عليها للإسلام من حقوق وواجبات ومجال عمل وطريق حياة** ، إنما يريد أن يحررها عن أن تكون أمة ، أو عبدة ، أو أداة للرجل على النحو الذى كان يفهم فى ظل الحضارات الزائفة القديمة ، أو الذى تحاول أن تصوره بعض الحضارات الحديثة .

فالرجل لا يعجب إلا بالفتاة ذات الكرامة والاستعلاء عن الأهواء ، الفتاة التى تعرف واجبها فى العمل ، والتطلع إلى زوج كريم .

وحين تعتصم الفتاة بالإيمان والكرامة وسلامة الشخصية إنما تدفع عنها كثيرا مما يواجهها فى الحياة اليوم من أخطار وأسواء .

● **فالتعليم وحق المرأة فى العمل** موجودان فى الإسلام ، وهو الذى أهداهما إلى الحضارة العصرية أصلا ، ومن حقنا أن نمارسهما فى حدود مفاهيمنا

وقيمنا ، وعلى الفتاة أن تعرف واجبها كاملا ، وأن تسترشد بهدى النماذج الكريمة التى قدمها تاريخنا للمرأة العربية المسلمة ، مجاهدة فى سبيل الله ، وبانية للشباب الكريم النافع ، وصانعة للحياة الطيبة ، ومؤازرة للرجل فى عمله ومشاقه ، ومرتفعة فوق مطامع الناس وأهواء المجتمعات ومحاولات الذين يريدونها رقيقا من حيث جعلها الله ذات سيادة وكرامة .

● **ولقد شاء الله** للجنسين أن يعملا ويعمرا الحياة وقسم بينهما الأعمال تقسيما يصلح لشخصية كل منهما وطبيعته وتكوينه ، ولصلاحيته للدور الذى يقوم به ، وجعل من حق المرأة العمل بحيث لا يتعارض مع تنشئة الأبناء والحفاظ على كيان الأسرة ، فإذا تعرض بناء الأسرة للأخطار ، كان على المرأة أن تحفظه وأن تتنازل عن حقها فى العمل الخارجى الذى يمكن أن يؤديه غيرها .

● **والمرأة فى مجال العمل** تمر بمراحل مختلفة ، تكون فى بعضها أقدر من البعض الآخر وخاصة قبل أن تتزوج فى مرحلة ، وبعد أن تتزوج وقبل أن تلد فى مرحلة أخرى ، فإذا اتسع نطاق الأسرة كان جهدها فى عملها قليلا ، وكانت خسارة الأسرة ببقائها فى العمل كثيرة .

● **ولقد مرت على الفتاة المسلمة** مراحل من الحياة ، ومرت على حركة نهضة المرأة مراحل من العمل ، وقد أعطت هذه المراحل تجارب كثيرة ، نحن دائما فى حاجة إلى الانتفاع بها حتى ندفع أمتنا إلى النجاح والنصر .

● **والمرأة المسلمة بعامة والعربية بخاصة** ، إنما تستمد مصادر نهضتها من القيم الأساسية التى رسمها الإسلام والقرآن وطبقها محمد ﷺ ، بما يفتح لها طريق الكرامة والخلق ، وبناء شخصيتها على أساس الإيمان والقدوة الحسنة والتربية العملية بما يحررها من أقسى قيد يحاول الاستعمار أن يوقعها فيه ، وهو قيد (الاستعباد) والعودة إلى حياة الإماء والعبيد بأن تكون أداة ، فليست المرأة فى مفهوم **الإسلام أداة ولا متعة ولكنها شخصية كاملة عالية الكرامة قادرة على المشاركة فى مجتمعات الرجال ، مؤدية دورها البناء .**

● **إن بناء شخصية الفتاة المسلمة** على مفهوم الدين والخلق والكرامة اليوم عامل هام فى قدرتها على مواجهة الحياة العاملة بنجاح وعمق .

● **إن المرأة المسلمة** حين اندفعت طوال تاريخ الإسلام فى مجال العلم والعمل إنما كانت تحمل معها قيم الإسلام نفسه ، ولم تتخل عنها وبذلك استطاعت أن ترسم صورة من أشرف الصور العالمية لدور المرأة وجهادها فى الحياة الإنسانية .

والفتاة المسلمة تستطيع أن تجد مكانا عظيما وضخما وإيجابيا فى نهضة العصر ما استمسكت بتلك القيم ووازنت بين حاجة بناء الأسرة وحاجتها إلى العمل نفسه كمورد ، وآثرت أن تؤدى دورها الطبيعى الفعال فى تكوين كيان الأمة .

أفضل المسلمين إسلاما من سلم المسلمون من لسانه ويده .

وأفضل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا .

وأفضل المهاجرين من هجر ما نهى الله عنه .

وأفضل الجهاد من جاهد فى الله عز وجل .

الإسلام نظيف ، فتنظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف .

اغسلوا ثيابكم ، وخذوا من شعركم ، واستاكوا ، وتزينوا ، وتنظفوا .

* * *

● « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أحسابكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

● « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

● « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشىء من الدلجة » .

* * *

● « أيما رجل أتاه الله علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار »

● « تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » .

● « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف .

● « خمس من حق المسلم على المسلم : رد التحية ، وإجابة الدعوة ، وشهود الجنازة ، وعيادة المريض ، وتشميت العاطس ، إذا حمد الله تعالى ».

● « الدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان » .

* * *

● « إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع ، حتى ليسأل الرجل عن آل بيته » .

● « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » .

● « من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله » .

[عن رسول الله ﷺ]

هذا وبالله التوفيق

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٣/٩٦٠٤

الترقيم الدولى : I.S.B.N: 977- 255 - 077 - 6

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

تلكس : DWFA UN ٢٤٠٠٤